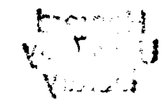


أبو إسلام أحمد عبد الله
لماذا
كسروا الصليب
؟
مركز التنوير الإسلامي

أبو إسلام أحمد عبد الله

لماذا كسروا الصليب؟

مركز التنوير الإسلامي



الطبعة الأولى / ذي الحجة ١٤٢٥هـ - يناير ٢٠٠٥ص[*]

اسم الكتاب : لماذا كسروا الصليب ؟

المـــــؤلف : أبو إسلام أحمد عبد الله

تصميم الغلاف : المعتصم أحمد محمد

الإخراج الفني : محمود عبد العزيز المصري

عنوان المراسلة : القاهرة - كوبري القبة ١٠١ شارع القائد

البريد الإليكتروني: abuislam_a@hotmail .com

الهاتف : ٦٨٣١٥٥٢ - ٤٨٤٤٦٠٤ القاهرة

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/٣١٧٧

الترقيم الدولي : ٥ - ١١١ - ٢٨٩ . ٩٧٧

ومرحباً بكم على الشبكة العنكبوتية

WWW .BaladyNet .net

لمقاومة التنصير والماسونية

(*) استخدمت حرف (ص) بمعنى بحَسَب التقويم الصليبي المعروف خطأ بـالتقويم الميلادي ، وفي داخل الكتاب استخدمت حرف (غ) بدلاً من حرف (ص) إشـارة إلى التقويم الغربي الصليبي ، خشية الخلط بين حرف (ص) الذي يشير إلى كلمة صفحة .

لماذا كسروا الصليب ؟

قراءة في كتاب كنسي (*)

هل هو حقاً صراع حضارات، أم هو صراع ثقافات ؟

سؤال ضخم ، لكنه موضوعي كل الموضوعية ؛ لأنه يتوافق مع حال أمم العالم اليوم ، وهي تشهد المجرمون يحتلون بلاد المسلمين ، يدنسون الأرض ، ويغتصبون الحقوق ، وينهبون الثروات ، ويعذبون الأبرياء ، ويسفكون دماء الأطفال ، ويسحلون الشيوخ ، وينتهكون أعراض العذارى ، ويشقون بطون الأمهات .

والجديد في ذلك الإجرام ، الذي تمارسه اليوم أمريكا والصهيونية العالمية ومجموعة الدول الأوروبية مجتمعة ، أنها لم تجد حرجاً في إعلان حقيقة هذا الإجرام ، أنه حرب صليبية ، هكذا قالوها وتردد صداها في أنحاء المعمورة .

لكن الغريب في هذا التصريح ، ليس النطق به في أمريكا

(*) القس أندرو ملر: مختصر تاريخ الكنيسة ، كنيسة الأخوة ، القاهرة ، ١٩٩٣ (ط٣).

وانجلترا وفرنسا وألمانيا . . . الخ ، فالأنظمة الكافرة قد فَجَرَت وما بات عندها حياء أن تفخر بظلمها وجبروتها . إنما الغريب هو تلك اللوثة التي أصابت عقول العلمانيين من أبناء العرب – الأكثر فُجْراً من الأمريكان – لتبرير وتبريء هذه التصريحات العنصرية الوقحة ، وبذل الجهد للتأثير على الرأي العام العربي ، أن يغفر هذه التصريحات لقائليها ، لأنها كانت (زلة لسان) ، في الوقت الذي لم يبادر فيه واحد ممن قالوا ذلك القول الغبي ، أن يُعَدِّل من صياغة ما قال ، أو يعتذر عما قال .

وفي ضوء هذه الحقيقة المرة ، بات من الخلل والخبل أن نُساق خلف هؤلاء الغوغاء ، الذين يروجون لمفاهيم كاذبة ، ومصطلحات خادعة حول حوار الحضارات أو حوار الثقافات ، فإن كان دفاعهم عن الحوار مهنة أو وظيفة مدفوعة الأجر بالدولار ، فلا يلزمنا أبداً قبول هذه المهمة القذرة ، لأننا لم ولن نتلقى دولاراً ، ولأننا لم نَبِع ديننا بدنيانا ، ولأن الله عندنا أغلى وأسمى من الدنيا وما فيها .

وبذلك فلا مكان لغير السؤال الأول عن (الصراع) ، بعد فساد الطرح الآخر الذي يخادعنا بـ (الحوار) ، فنؤكد أن الصراع هو الحقيقة ، وهو صراع حضارات وثقافات في آن

واحا، بل هو ــ بعيداً عن الدجل السياسي (والفــذلكات) اللفظية ــ صراع أديان ، وبصورة أكثر تحديداً ، هو :

صراع بين الإسلام وبين كل عقائد وملل الأرض الكافرة به .

صراع بين السلام الإلهي ، وبين السلام البشري .

صراع بين التوحيد ، وبــين الوثنيــة والتثليــث والتســبيع والتسيع .

صراع بين دين سماوي ، وبين أديان أرضــية ، أو سماويــة عبثت فيها العقول البشرية .

صراع بين عقيدة خاتمة ، وبين عقائد منحولة أو منسوخة أو عفا عنها الزمان .

لذلك فلن يلتقي الفريقان أبداً إلى يوم الدين ، وتلك إرادة الله ، أن يظل الحق في صراع مع الباطل إلى يوم الدين ، ولــو اجتمعت أمم الأرض كلها على قلب رجل واحد – وذلك لن يحدث لأنه مخالف لسنن الكون الإلهية – فأبداً لن يصطلح الحق مع الباطل ، ولن يعيش الحق في سلام وأمن ، دون كيد وحسد وأذى وكدر من الباطل وأهله ، فمــا دام الإنســان الصــالح موجوداً على ظهر البسيطة ، فإن إبلــيس بــاق وأعوانــه في الأرض .

وأخلص من هذه المقدمة المسهبة ، إلى نتيجة واحـــدة ، أن الصراع قائم ، وأن علاجه الوحيـــد ، أن يســـمع العصـــاة ، والبغاة ، والمغضوب علـــيهم ، والضـــالين ، كـــلام الله ، وأن يهتدوا بهـــدي الله ﴿ . . . وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ (النور) ، وقد فهمت من هذا النص القـــرآني الكـــريم فهماً خاصاً مزدوجاً ، تسترح له نفسي كثيراً وإن لم أقرأه مـــن قبل ، أن الله يهدي من يشاء الله هدايته ، وأن الله يهدي مـــن يشاء من البشر أن يهتدي .

ومن وسائل الهداية التي يمكن أن نقدمها إلى أهل الضلال ، صنفان :

الصنف الأول ، أن نقدم لهم قبسات من هدي الله الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، الذي لم يلد ، ولم يولد ، ونـــبين لـــه معاني لا إله إلا الله ؛ التي يجب ألا يقاوموا فطرته جل وعـــلا في استيعابها .

الصنف الثاني ، أن نقدم لهم صورة الحق التي نبع منها دينه الذي هو عليه ، إيماناً منّـــا بأن دين الله واحـــد ، وأن ديـــن **إبراهيم** هو دين آدم و**نوح** و**أيوب** وإسماعيـــل و**إسحاق**

ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ، كلها من قبس واحد ، تدعو إلى توحيد الربوبية والى توحيد الألوهية ، والى تنزيه الله عن كل ما يصفون من تجسيد وتجسيم وتشخيص ، لولا أن هذه الرسالات قد أصابها التبديل والتحريف والنسيان والضياع والإهمال ، بسبب غواية أتباعها وسلطان الشيطان عليهم ، فجاءت رسالة النبي **محمد** صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، خاتمة لكل هذه الرحلة التوحيدية الطويلة ، لتكون هي الخاتمة ، وليكن نبيها هو خاتم الأنبياء ، وتكون هي الأتم والأكمل ، شرعةً ومنهاجاً ، وهو ما يتفق تماماً مع العقل البشري ، وفهمه لمراتب التعليم ، وحتمية التطور الكوني ، والارتقاء بالذهن الإنساني من الأدنى إلى الأعلى .

ولأن الصنف الثاني ، هو ما يمكن أن تتقبله مني عقول الآخر ، المخاصمة بسبب جهلها – لكل ما يتعلق بالصنف الأول ، فقد وجهت جهدي في هذه الرسالة إلى هذا الصنف ، تاركاً الصنف الأول من وسائل الهداية لمن هم أقدر مني في أدائه .

وفي معالجتي لتقديم الصورة الأولى التي كانت عليها عقيدة المسيحية بالتحديد ، رأيت أيسر المسالك إلى قلب المسيحي ،

أن أرده إلى أصول عقيدته ، وأن أكشف له ما فيها من نور أصابه ضباب ، ومن صواب اعتلاه الخطأ ، ومن حق تراكم عليه الباطل ، لأن المسيحية التي دعى إليها المسيح عليه السلام ، أبداً لن تكون مغايرة ولا مخالفة لدعوة النبي **محمد** صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، هِيَ . . . هِيَ ، قبس نبوي من نور الألوهية ، إلا أن الشيطان تسلط على كهنة المسيحيين بكهانتهم مع مر الزمان ، فأفسدوا فيها لأنهم بشر ، والبشر خطّاءون بحسب خلق الخالق لهم ، وواحدة من علامات هذا الإفساد ، كانت بدعة الصليب ، تلك التي تملكت من بعض طوائف أتباع المسيحية ، حتى أصبحت هي عندهم أصل أصول الدين ، وهو ما جعل الطوائف الأخرى الرافضة لعبادة الصايب ؛قتله وسفاكي دماء ، أو ضحايا مقتولين أو مسفوكي الدماء ، بسبب ما دار من حروب ومعارك وقتال بين الفريقين على مدى القرون الطويلة ، منذ بدء رسالة المسيح عليه السلام .

وبداية فأنا أعترف بحقيقة هدفي من هذه الرسالة ، أن أمد يدي لكل مسيحي من هذه الطوائف المُصِرة على عبادة الصليب ، لا أن أُنفّرَه مني ومن دراستي ، ولذا أتلمس منه

الصبر قليلاً إن كانت كلماتي هذه قد تسبب لـــه حرجـــاً أو ضيقاً ، فأعتذر عنها ، مؤكداً حسن نيتي ، راجياً منـــه حســـن الظن بي ، لدقائق قليلة لن تبلغ الساعة الواحدة ، حتى أنتـــهي من طرح هذه الأفكار التي احتوها هذه الدراسة الصغيرة .

وأقول أن معالجتي لقصة الصليب هنا ، إنما هي لإيقاظ همـــة كل مسيحي أن ينهض إلى أصول عقيدته ، ولا يكون مُســـاقاً بين قطيع ، بل مجتهداً باحثاً عن الحق اليقين ، وآيـــات الحـــق كثيرة ، مُتناثرة في كتب عديدة ، بين أرفف المكتبة المســـيحية نفسها .

ومن بين هذه الكتب ، اخترت واحداً هنا لأتناوله ، وهـــو كتاب (مختصر تاريخ الكنيسة) تأليف القس (**أنـــدرو ملـــر**) ، إصدار (كنيسة الأخوة) ، بجزيرة بـــدران في منطقـــة شـــبرا ، بالقاهرة ، وهو عبارة عن مجلدين ضخمين ، يحتويان علـــى زاد كبير لكل مسيحي ، ويطرح العديد من القضايا التاريخية ، التي اخترت من بينها قضية هذه الرسالة وهي :

– هل الصليب عبادة حقاً ؟ أم أنه بدعة وخدعـــة علـــى الحقيقة ؟

أرجو من كل مسيحي ألا يعاندني ، وألا يتخذ موقفاً عدائياً

مني ، لأني لست صاحب هذا الطرح ، إنما أنا مجرد وسـيط ، ولا لوم يمكن أن ألامه ، إلا أن أُحَرِّف كلمة ، أو أُبَدِّل معنى ، أو أضيف نصاً من عندي ، وبهذه الشروط الثلاثة ، أستطيع أن أصحب قارئي المسلم والمسيحي على السواء ، إلى هذه الرحلة الدموية ، التي جاهد فيها آلاف المسيحيين الأوائل لأجل نصرة المسيحية وتنقيتها من الوثنيات ، وتطهيرها من الشـركيات ، وبذل الأرواح في سبيل إعلاء كلمة المسيح عليه السلام ، كما نقلها هو عليه السلام إلى حوارييه وأتباعه ، وليس كما نقلـها **بولس** عن أحلامه ورؤاه حول المسيح والمسيحيين .

فلنبدأ الرحلة ، منبهاً أن كل ما ورد في هذه الرسالة ، هـو نصوص منقولة بحروفها ، باستثناء كل ما هو بين قوسين مربعين [. . . .] ، أو ما هو مميز في شكله وإخراجه أومشار إليه أنه تدخلاً مني ، وعلى الله قصد السبيل .

بدعة أم عبادة

راية الصليب

منذ وضعت الكنيسة يدها في يد العالم ، وتصادقت معه ، وتمتعا معاً ، ولما لم يكن للعالم أن يسمو إلى مستوى الكنيسة ، كان من الضروري أن تنزل وتنحط إلى العالم الواطئ)[1] .

[وتلك هي أجمل عبارة قرأتها في هذا الكتاب ، وما وجدت أفضل منها ولا أَدَلّ غيرها على ما أصاب الكنيسة من خلل وانحراف] ، فإن من أكبر الحوادث في تاريخ الكنيسة ، كان عام ٣١٢ ، في عهد الامبراطور **قسطنطين** ، بينما كان ذاهباً من فرنسا إلى إيطاليا لمحاربة مغتصب مُلك أبيه ، فقد علم أن **مكزينتوس** هناك ، قد أعد له جيشاً عظيماً ومُعدات أعظم ، وأنه قد أدى الفروض والطقوس الوثنية بكل عناية ودقة ، فاجتمع حوله شعبة وكهنته الوثنيين .

لذلك رأى هو أن يتنازل عن وثنيته ، ويرجع إلى الدين

---

(١) أندروا ملر : مختصر تاريخ الكنيسة ، كنيسة الأخوة ، القاهرة ، صفحة ٢٥٦ .

الذي كان عليه أبيه ، وهو المسيحية . . . فبينما كان يجول في تلك الأفكار ، (تَصَوَّر) أنه رأي في وقت الظهر ، رسم صليب لامع يتألق نوراً ، ومكتوباً علية بحروف بارزة : (هـذا تغلب وتنتصر) .

فلما نام ، رأى في منامه أن يسوع ظهر له حاملاً في يده ذات الرسم ، وأرشده أن يعمل راية على نفس المثال ، ويستعملها عَلَماً في الحرب ، لما استيقظ من نومه قرر أن يتخذ شارة الصليب عَلَماً لإمبراطوريته[1] .

[وهذه الرواية يمكن أن نقرأها في عشر مصادر أخرى ، وفي كل مصدر نقرأ حكاية مخالفة للأخرى تتسع لكل خيال مزعج ، لكنها لن تقل في مضمونها عما سبق ، إذ تنتهي جميعاً إلى أن هذا الحلم الذي حلمه هذا الوثني ، أصبح هو يقين كل مسيحي وكل المسيحية ، حتى يومنا هذا .

ولكثرة الكذب والتدليس فيما كتب المسيحيين ، فقد انفرد التاريخ الذي بين أيدينا ، بأن **قسطنطين** منذ هذا الوقت قد اعتنق المسيحية ، بينما تُجمع عشرات الكتب التاريخية الكبرى

---

(١) المصدر السابق ، صفحة ٢٥٧ ، ولن نُشِر لاسم المصدر بعد ذلك ، ونكتفي بذكر رقم الصفحة .

عند المسيحيين ، أنه ظل رافضاً لعقيدة المسيحية ، حتى وهو على فراش الموت ، لم يقبلها ، لكنهم حملوه وعَمَّدوه حتى يموت مسيحياً كما أرادوا هم لا كما أراد هو ، وهو ما أيده الكتاب الذي بين أيدينا نفسه بعد سطور قليلة .

ولنقرأ النصين التاليين في صفحتين متواليتين من كتاب واحد ، دون أن يُكذب المؤلف إحداها] .

النص الأول[1] :

أرسل **قسطنطين** وأحضر المعلمين المسيحيين ، واستعلم منهم عن الله الذي ظهر له [والقول أن الذي ظهر هو الصليب وليس الله] وعن المعنى الذي يشير إليه الصليب الذي رآه ، فانتهز المعلمون الفرصة وأرشدوه إلى كلمة الله ، وعلموه عن شخص المسيح وموته فوق الصليب ، ومن ذلك الوقت أعلن اعتناقه للمسيحية ، ونال انتصاراً باهراً على أعدائه ، مع أن جنوده لم يكونوا يبلغون ربع جنود **مكزينتوس** في العدد .

النص الثاني[2]:

وإننا نجسر على القول أن مسيحية **قسطنطين** لم تتعد هذا

---

(١) صفحة ٢٥٨ .

(١) صفحة ٢٥٩ .

الحد في ذلك الوقت ، إذ لم يكن **قسطنطين** يشعر أنه محتاج إلى المسيحية كإنسان خاطيء بل كمحارب ، ولكن لا يعلم أحدٌ إلا الله وحده ، إن كان قد قَبِلَ المُخَلِّص (يسوع) كخاطيء هالك أثيم ، لأنه من الصعب على الأمراء والعظماء أن يصيروا مسيحيين .

[هذين هما النصين اللذين أوردهما المؤلف ، ولا يفصل بينهما غير خمس سطور في نهاية الصفحة (٢٥٨) ، وسطرين اثنين في أعلى الصفحة (٢٥٩) ، يثبت المؤلف في النص الأول إيمان **قسطنطين** ، و"يتجاسر - بحسب تعبيره - في النص الثاني وينفي عنه الإيمان ، بتبرير يتنافى مع عقيدة التوبة ، عناداً من المؤلف في عدم الاعتراف بالحقيقة القاسية ، أن راية الصليب ما كانت إلا رمزاً للخداع ، استطاع بها **قسطنطين** أن يضحك على المسيحيين ويعبث بعذرية عواطفهم الجياشة ، وإيماهم الشكلي ، بمباركة كاملة من رجال الدين ، الذين منحهم الأموال والأراضي ، وأغدق عليهم بالمناصب ، فأشاعوا صدق الرؤيا التي رآها الملك الوثني ، وجعلوها مقدسة ، حتى أصبحت بشارة الصليب هي

شارة الإيمان التي يُقبَل بها أي شخص يضعها على صدره ، حتى لو كان قوّاداً أو زانياً أو لصاً محترفاً أو سافك دماء ، وما كان **لعيسى** عليه السلام ولا لآباء الكنيسة الأوائل اهتمام أو دراية بأن للصليب قداسة ، وأكدت التجربة العملية ، أن الصليب الذي انتصر به **قسطنطين** عام ٣١٢ ، هو نفسه الصليب الذي انهزمت به المسيحية كلها في قلب أوروبا حتى القرن الخامس عشر .

وهذا القول الأخير هو ما يؤكده المؤلف نفسه في سطوره التالية من ص٢٦٠ – ص٢٦٧ ، ليطرح السؤال نفسه قائلاً] :

إذا كان الصدق مُوَثِقاً فلماذا اللجوء إلى الكذب وحشوه بين ثنايا الصدق ؟

ولنقرأ معاً القصة كاملة في النصوص التالية للقس :

إن غاية ما نعلمه عن دين **قسطنطين** ، . . . أنه كانت تتناوبه عوامل السياسة والرياء تارة ، والخرافات تارة ، والوحي الإلهي تارة ثالثة ، ولكن من الظلم الفادح أن نظن أن اعترافه بالمسيحية لم يكن إلا رياءً مقصوداً ، ومداهنه عمداً ، لأن حياته

الدينية والكنسية تدل على شيء أسمى بكثير من ذلك .

لكننا لا نصدق حصوله على إعلان إلهي في الرؤيا التي رآها ، أو الحلم الذي شاهده في منامة :

فربما كان هناك منظر غير عادي حول الشمس .

أو سُحباً تَخَيَّل فيها منظر شكل الصليب .

ويُحتمل أن يكون ما رآه في حُلمه ، هو نتيجة اضطرابه العظيم .

وقد تعتبر القصة كلها خرافة مملوءة بالتملق والمداهنة من الامبراطور ، أبهجت وأسرت كبير كهنة الكنيسة المؤرخ **يوسيفوس** ، الذي كان معجباً به جداً ، فَدَوَّنها في تاريخه كأنها حقيقة[١] .

ثم يقول **ملر** : لقد كانت الكنيسة قبل قسطنطين ، ترتع في بحبوحة الحرية ، وتتمتع بلذة الاستقلال عن الحكومة ، وكان لها دستور إلهي صادر من السماء وليس من العالم ، وكانت محمية بقوة الله لا بحماية الحكومة .

---

(١) صفحة ٢٦٠ .

فلما قبلت الكنيسة حماية **قسطنطين** ، كان ذلك بكلفة باهظة وأجر عظيم ، إذ خسرت في مقابلها إخلاصها للمسيح سيدها . . . فلما سمح الرب للشيطان أن يضطهد الكنيسة ، وكان على الكنيسة أن تقبل ذلك كتأديب لها من يد الرب ، وتعترف بتزحزحها عن مركزها ، فإذا بها قد سئمت من عداء الدنيا لها ، وظنت أنها إذا سايرت الدنيا وتواءمت معها ، فإنها تُرضي الرب وتخدمه[1] .

ثم يقول **ملر** : وهذه القبلات الشيطانية ، قد جاءت على يدي **قسطنطين** [صاحب بدعة الصليب] ، لأننا إذا تعمقنا في معرفة فكر **قسطنطين** معرفة صحيحة ، لما ترددنا لحظة ، في القول بأنه كان في ذلك الوقت وثنياً بالقلب ، ومسيحياً من الوجهة الحربية فقط ، وما اعتنق المسيحية إلا كجندي واقع تحت تأثير الخرافات ، حيث كان في تلك اللحظة على استعداد أن يقبل مسروراً ويرحب ، بمساعدة أي إله قدير ، ليستعين به في حروبه ، لأجل ضم شمل أطراف الامبراطورية تحت لواءه ،

---

(٢) صفحة ٢٦٢ .

ولا يمكننا أن نرى فيه أثر من المسيحية الحقيقيـــة ، بـــل الأولى جداً ، نَشتَمَ فيه شيئاً من رائحـــة المتجـــدد حـــديثاً ، لأننـــا بالعكس ، يسهل جداً ، أن نشاهد الخرافات الوثنية تحت ثوب المسيحية الجديد الذي ارتداه .

ولولا أنه ارتدى ثوب المسيحية ، لكنا نحســـب أن الرايـــة [التي حلم بها ، وصنعها ، وجعلها في مقدمة جيشه ، وأصبحت شعار المسيحيين من بعده] ما هي إلا مظهر من مظاهر الاحتقار والازدراء بشخص ربنا المبارك(١) .

[والعجيب في هذه النصوص التي أوردناها هـــا هنـــا ، أن المسيحيين بما فيهم المؤلف ، هم حـــتى يومنـــا هـــذا مغيـــبين أو مسروقين أو رافضين لإعلان خطئهم ، وأنهم يمارسون الغواية مع الشيطان ، وأنهم على الحقيقة يحتقرون بهذا الصـــليب شـــخص المسيح الذي يظنون أنه صلب عليه ، وأنهم بهذا الصليب يزدرونه ويهينونه ، عندما يجعلون منه وهو الذي لُعنَ به ، وقُتلَ عليـــه ، وصرخ يعاتب ربه بسببه ، شيئاً مقدساً يوشمونه على أجسادهم ، ويعلقوه في رقابهم ، ويمسكونه بأيديهم ، ويرسمونه على ملابسهم وأحذيتهم ، وينقشونه على حوائط الكنيسة ، ودورات الميـــاه ،

---

(١) صفحة ٢٦٣ .

وبلاطات الأرض ، وأبْسِطَتِها التي يدوسونها بأقدامهم] .

صليب قسطنطين

ولكن ، هل الصليب الذي رفعه **قسطنطين** ، هو صليب على الحقيقة ؟ هل كان حقاً إعلاءً لشأن الصليب ؟

واتباعاً للصليب ؟

هل كان انتصاراً للمسيح عليه السلام وأتباع المسيح ؟

إن الإجابات التي أجابها **ملر** ، تقول غير ذلك تماماً ، إذ يؤكد أن الراية التي رفعها **قسطنطين** ، لم تكن مطابقة لذلك الوهم الذي رآه هو وجنوده في وقت الظهيرة ومع وجود الشمس في كبد السماء ، كما أن الراية نفسها لم تكن مطابقة على الإطلاق لما رآه فيما يرى النائم ، حسب الرواية التي أخبر بها كبير كهنة المسيحية وبطانته من رجال الدين .

يقول **ملر** : كانت هذه الراية على الوصف الموجز التالي:

- قضيب طويل مطلي بالذهب .

- في أعلاه وضع تاج [الامبراطور] مصنوع من الذهب والحجارة الكريمة .

– منقوش على التاج علامة الصليب ، والحروف الأولى من اسم المُخَلِّص باللغة اليونانية **(Christos)** .

– وتحت التاج مباشـــرة صـــورة الامبراطـــور مصـــنوعة بالذهب .

– وتحت صورة الامبراطور صليب من الخشب .

– و تتدلى من هذا الصليب الخشبي ، راية أرجوانية (حمراء) اللون مغشاة بالأحجار الكريمة .

– و أطلق على هذه الراية اسم " لابروم "[1] .

ثم يُعَقِّب **ملر** على هذه الراية ووصفها قائلاً: لقـــد كـــان الغرض من تلك العلامة والرسومات ، أن تكـــون موضـــوع عبادة الجنود المسيحيين والوثنيين [معاً] ، وهكـــذا اقترنـــت المسيحية جهاراً ، بعبادة الأصنام ، بواسطة ذلـــك الشـــخص الذي كان يلقب بالامبراطور المسيحي العظيم[2] .

لقد كان شيئاً ضرورياً أن يكون للوثنيين رسماً وتاجاً ورأساً وراية ، فكان لهم في (لابروم) **قسطنطين** ، التاج والـــنقش

---

(١) صفحة ٢٥٨ .

(٢) صفحة ٢٦٢ .

الذي يشير إلى مفتاح الحياة عند الفراعنة ، وأوهم به المسيحيين أنه الصليب ، وكان لهم أيضاً صورة الامبراطور الممثّلة في الإلة أو ابن الإله على الأرض ، الموكل إلية حماية شعبه ، كما كانت معتقدات الوثنيين في مصر واليونان وروما على السواء ، وكان للمسيحيين أيضاً في الـ (لابروم) راية حمراء بلون الدم ، تستثير في الجنود روح الانتقام والثأر .

[وهكذا استطاع **قسطنطين** أن يستغفل الوثنيين والمسيحيين ، ويجمع بينهما ليكونا جيشاً واحداً يحقق كل طموحاته في سفك دماء خصومه ، واحتلال أرضهم ، وتوسيع إمبراطوريته ، وحماية سلطانه ، وقد فلح كل الفلاح فيما سعى إليه ، وتحقق له كل ما أراد .

لكن العجيب في الأمر ، أن الوثنيين ظلوا على عهدهم بهذه الراية كاملة كما هي ، بينما المسيحيين الذين لم يعرفوا لهم راية من قبل ، خدعهم آباءهم فلم يبقوا لهم من الراية القسطنطينية التي انتصروا بها ، إلا مفتاح الحياة الوثني الذي يشبه الصليب ، أو لنقل أنه الصليب الذي يشبه مفتاح الحياة .

إلا أن سؤالاً وجيهاً يمكن أن يطرح نفسه : لماذا هذا الموقف

من **قسطنطين** ، الذي كان هو أول من أعلن حرية ممارسة المسيحية رسمياً ؟]

تأتي الإجابة سريعة على لسان القس **ملر** : إن القرارات التي أصدرها **قسطنطين** في بداية ملكه (عام٣١٢) ، وإن كانت لصالح المسيحية ، إلا أنها صيغت في قالب يدل على الحذر والحرص ، بحيث لم تمس طقوس الوثنية وحرية ممارستها في شيء .

وإذا كان قد منح المسيحيين اعتباراً ومكانةً في عينيه وأعمال شفقة ، وأرجع لهم كنائسهم التي كانت قد صودرت في الاضطهادات السابقة . . . فإنه بسبب هذه الرعاية اتخذ لنفسه مقام السيادة المطلقة على كل أمور الكنيسة[١] . . . ومن ذلك الوقت ؛ صارت الكنيسة تُعرف في المكاتبات الرسمية باسم الكنيسة الكاثوليكية [أي الكنيسة الجامعة ، الجامعة لكل أصناف المسيحيين وطوائفهم نزولاً على أمر الملك] .

ثم يضيف **ملر** : لقد اتخذ **قسطنطين** مقام رئيس الكنيسة بصورة علنية أمام العالم أجمع ، لكنه في الوقت ذاته ،

---

(١) صفحة ٢٦٣ .

احتفظ لنفسه بمقام الكاهن الأعظم للوثنيين ، ولم يتخل عن هذا اللقب قط .

وإننا نشاهد في كل نقطة من تاريخ ذلــك الامبراطــور ، التحالف غير المقدس والاختلاط ، بين الكنيسة والحكومة[1] .

ثم يفجر **ملر** القنبلة التي لابد وأن تنفجر في جميع ساحات الكنائس على وجه الأرض ، عندما قال بصدق متناه وبحكمـة غالية]: لكننا يمكن أن نستدل على أن العصر الذي عُذّبَ فيه المسيحيين وكانوا يقضون نحبهم قتلاً بالسيف أو حرقاً بالنــار ، كان أكثر نفعاً للمسيحية من ذلك العصر الذي جلســوا فيــه على موائد الامبراطور[2] .

ومات صاحب الصليب وثنياً

ويؤكد **ملر** : لقد رفض **قسطنطين** طوال حياته أن يَقبَل العمادة ، وبالتالي لم يُقبَل في الكنيسة لغايــة قــرب موتــه[3] [وأقول أنا أنه لم يقبل العمادة حتى مات ، وانه مــات علــى

---

(٢) صفحة ٢٦٤ .

(١) صفحة ٢٦٦ .

(٢) صفحة ٢٦٩ .

وثنيته برغم أنف كل التدليس الذي يحاول المسيحيين عمله ، ولقد اقترح المؤرخون الكَنَسيون عدة مبررات سياسية وشخصية كأسباب لتأخيره قبول المسيحية ، ذكر منها ملر ما يلي :] .

أنه كان مما تعلمه الناس من الخرافات ، أن جعلوا مغفرة الخطايا مقترنة بفريضة المعمودية ، وعلى ما يظهر بناءً على هذه الضلالة ؛ أجَّل قسطنطين [بل هو رفض] عماده ، حتى جاء الوقت الذي لم يستطع فيه أن يتمتع بأمجاد امبراطوريتة أو ينغمس في الملذات .

لكننا [والكلام ما زال على لسان **ملر**] من المستحيل أن نتصور انغماساً في الشر ، أكثر هلاكاً للنفس ، وأعظم مَجلَبة لإهانة المسيحية ، وأشد خطراً على كل فضيلة أدبية ، من ذلك الانغماس في الملذات ، لأنه لم يكن حافزاً **لقسطنطين** ، أعظم من أن يعلم أن وسائل الغفران لخطاياه سهله وتحت يده متى أراد ؟[1]] وبرغم ذلك لم يفكر قسطنطين ولو لمرة واحدة أن يمد هذه اليد ، ولا أن يسعى لطلب

---

(١) صفحة ٢٦٩ .

الغفران .

ولكن أعجب نص قرأته لـ **ملر** هو شكره لربه يسوع ، أن **قسطنطين** لم يتب حتى لا يسيء للمسيحية فيقول **ملر** :

ولكننا من الجهة الأخرى ، نرى أنها لرحمة عظمى من الرب ، أن شخصاً كهذا ، كانت حياته العائلية والجهارية ملوثة بسفك الدماء ، لم يُسمح له بالاعتراف علناً بدين المسيحية ، ولا بقبول المعمودية وعشاء الرب[1] .

ويزيد **ملر** هكذا بصيغة التمني ، التي تهدم كل كلام قاله من قبل ، أو سوف يختم به كلامه فيما بعد ، عن مسيحية **قسطنطين** صاحب راية وتقديس الصليب قائلاً : ونرجو ، أن يكون قد تاب حقيقة على فراش موته ، ذلك أن الأساقفة وكبار كهنة الكنيسة المقربين إليه ، عندما ذهبوا ليطلبوا منه الإيمان بالمسيحية ، وأن يَسمح لهم بأن يعمدوه ، فإنه في أفضل الروايات ، قَبِلَ منهم [أو هم فعلوا رغماً عنه] أن يُعمِّدوه ،

---

(٢) صفحة ٢٦٩ .

لكنه [كما يقول **ملـر**] اعترف لأول مرة ، بأنه إذا [إذا] شفاه الرب ، وإذا [إذا] أقامه من مرضه ، يتعهد بـــ :

– أن يسير مع جماعة القديسين .

– وأن لا يخلع عنه ثوب العمادة الأبـــيض ، ولا يســـتبدله بثوب الأباطرة الأحمر الأرجواني .

ويُعَقّب **ملـر** مباشرة بقوله : لكن هذه التعهدات والنيات جاءت متأخرة ، فلقد مات بعد أن عَمَّـــدوه [هـــم] ســـنة ٣٣٧[١] .

[وهكذا فإن **قسطنطين** لم يَسْع بنفسه أبداً للتعميد ، ولم يطلب يوماً أن يكون على غير دين الوثنية ، رافضاً كل الرفض وبإصرار ؛ أن ينتمي إلى ملة المسيحيين ، لكن المسيحية لم تجـد حرجاً ، أن تبذل كل الجهد لأن تنتمي إلى ملة **قسطنطين** ، وأن تجعل من رايته راية لها ، ومن صليبه الوثني شعاراً مقدســاً لكنيستها .

---

(١) صفحة ٢٦٩ .

كن مسيحياً بعشرين قطعة ذهب وثوباً أبيضاً .

يحكي القس "ملر" في حسرة شديدة ، أنه في عهد الامبراطور الوثني قسطنطين ظهر الأساقفة بمظهر ندماء القصر ، يجالسون الامبراطور ، ويحيلون مشكلاتهم الكنسية الداخلية إلى الحكومة للنظر فيها وحلها ، فتسلط رئيس الأساقفة بسلطان وظيفته وسطوة مركزة (لا بسمو مقامة في ديانته) ، فكان يفتح باب الكنيسة لمن يشاء لمنحه البركة الأبدية ، ويغلقها في وجه من يشاء حرماناً له من تلك البركة ، ومع كل قرار حرمان كان يصدره ضد واحد مذنب ، ينضم المذنب المحروم ليضيف واحداً إلى الوثنيين ، وهكذا حَلَّت المسائل العقلية والفلسفية محل حقائق الإنجيل ، وقامت الديانة الظاهرية مقام الإيمان بالمخلص المصلوب والتجديد الصحيح[1] .

فلما شاهد الناس ذلك ابتعدوا عن المسيحية ، وولوا وجوههم شطر اليهودية ، وابتدأت أسفار العهد القديم تسمو وتسود على إنجيل المسيح . . . فما كان من موظفي الكنيسة

---

(١) صفحة ٢٦٧ .

الملكبة ، أن يبحثوا عن وسائل مستحدثة لجـــذب النـــاس إلى الكنيسة ، وتعويض أعداد المحرومين والمتمردين والرافضين لدين المسيح ، فهيأوا الناس إلى أن الاعتراف بالمسيحية ، هو الطريق الأكيد للوصول إلى الثروة والجاه والإنعامات الجزيلة والحصول على الوظائف وتأمين الحياة بعيداً عـــن التشـــريد والســـجن والاعتقال ، فأقبل الناس من كل الطبقات ، يتـــهافتون علـــى المعمودية ، خاصة في عيدي الفصح ويوم الخمسين ، إذ تحتشد الألوف ، لابسين ثياباً بيضاً حول الكنائس العديدة ، منتظرين عمادهم ، وكان العدد عظيماً جداً ، والمنظر هكذا عجيبـــاً ، حتى أن كثيرين ظنوا أن هذا الجمهور ؛ هو المشار إليه في سفر الرؤيا بـــ " الجمع الكثير الذي لم يستطع أحد أن يعده من كل الشعوب " . . . إذ وعد الامبراطور أن يعطي كل من يتنصـــر من الطبقات الفقيرة ، عشرين قطعة ذهبيةً وثوباً أبيض ، فكمل بذلك سقوط وثنية روما القديمة ، وبذلك تقـــدمت المســـيحية [كوثنية حديثة] اعتلت عرش الرومان[1] .

---

(١) صفحة ٢٦٨ .

الكنيسة تعتلي كرسي الشيطان

يستطرد "ملر" قائلاً: وهكذا رأينا جلياً ، صدق كلمات الرب المحزنة ، القائلة : إن الكنيسة تسكن حيث كرسي الشيطان ، إذ أخذها من سجون المناجم والمقابر وتركها متربعة على عرش العالم ، أخذها من مكانها الصحيح بغواية الشيطان ، إلى مكانها المعيب ، حيث نبتت بذور الخطأ والفساد والشقاق[1] .

فبدلاً من أن يلتجئ الامبراطور للكنيسة ليحتكم إليها في أموره ، أصبح هو الحاكم عليها والمهيمن ، فإذا ما خالفت الكنيسة أوامره ، تعدى على قوانينها وشرائعها ، وهذا ما حدث بعد ذلك على مدى تاريخ الكنيسة[2] .

صليب يسوع للبيع

ثم انتقل بالقارئ ونذهب إلى غرفة أخرى من قصر قسطنطين الإمبراطوري ، لنشاهد بقية الصورة المكملة لمهزلة

---

(١) صفحة ٢٧٠ .

(٢) صفحة ٢٧٣ .

صليب بعض الطوائف المسيحية ، حيث تروى الروايـــات أن **هيلانــة** أم قسطنطين – ولدها الوحيد – وكانت على مذهب المسيحية ، وفشلت كثيراً في تنصير هذا الإمبراطور الذي مات في حياتها على الوثنية ــ كما أوضحنا من قبل ــ فأرادت بكل ما تملكه من قوة وجهد أن تعطي الشرعية لأحلام ابنها ، وتمنح القداسة لما أنزله عليه الشيطان من زيغ وأوهام ، لإعلان شـــأن صنم الصليب وعبادته ، تعزيـــزاً للفكـــر الـــوثني في عقيـــدة المسيحية الجديدة ، التي لم تعرف للصليب قداسة قبل **هيلانــة** وولدها **قسطنطين** ، منذ عهد المسيح عليه السلام مـــــروراً بحوارييه ورسله ومن حملوا دعوته للناس .

يقول "**أنـدرو ملـر**" : ولما كان تاريخ هذه العبادة شـــبيه بتاريخ عبادة القديسين ، إذ أن الأصل في الاثنين واحد ، وهو عواطف الطبيعة البشرية . . . فإن هذه الخدعة الشيطانية ترجع في الغالب إلى أن كنيسة روما ، تؤمن أنه يوجد في هذه الآثـــار قوة لا تقـــاوم في عمـــل المعجـــزات . . . ونظـــراً لرغبـــة **الامبراطورة هيلانــة** – أم قسطنطين – الخرافية الشديدة ، في تكريم الأماكن التي تشرفت بحياة وموت المُخَلّص – بحسب

معتقد المسيحيين – في أرض فلسطين ، فقد أمرت هـي بهدم هيكل الإلهة "فينيس" الرومانية ، وأمـرت أن تـبنى مكانه كنيسة ، تفوق في جمالها جميع الكنائس الأخرى[1] ، وفي أثناء عمليات الحفر اللازمة ، قيل إنهم عثروا على القبر المقدس [تحت هيكل الإلهة الرومانية] ، كما أنهم وجدوا فيه الصلبان الثلاثة واللوح المكتوب بيد "**بيلاطس**" الحاكم الروماني ، في ثلاث لغات[2] .

[وهذا كلام لا يبعد كثيراً عما يلوكه السكارى في مجالس الخمر ، فإذا حاولنا أن نقبل القول بوجود القبر ، برغم أننا لا نعلم له معالم تحدده ، أو تميزه عن أي مكان آخر ، فإنه يكـون من الخلل العقلي أن نقبل وجود الصلبان الثلاثـة الـتي هـي للمخلص – بحسب اعتقادهم – ولـ اللصين اللذين كانا عن يمينه وعن يساره ، إذ أن مكان الصلب الـذي يذكرونـه في كتبهم ، كان بعيداً جداً عن مكان القبر الذي يدعون أنه وضع فيه عند موته على الصليب .

وإن تصورنا جدلاً أن الصلبان كانت من الأمتعة التي توضع

---

(١) صفحة ٢٧٠ .

(١) صفحة ٥٥٣ .

مع الميت بحسب عقيدة الوثنيين ، وعومل قبر **عيسى** عليه السلام بحسب الوثنية .

– فلماذا نجد فيه صلبان اللصين .

– وما الحاجة لإبقاء الصلبان في قبر ليس فيه موتى ، بعد أن قام المسيح عندهم من الموت في اليوم الثالث ؟

فإذا ما اضطررنا مسايرةً للدجل والكذب والتدليس في تاريخ البشرية ، بأنهم وجدوا القبر وفيه الصلبان الثلاثة ، فهل يكون من اللائق مهما بلغت الضرورة ، أن نضطر لقبول اللوح المكتوب بيد **بيلاطس** ، والذي أدان فيه يسوع وأمر بإعدامه صلباً ؟

– وهل كان مسموحاً لأحد أن يغتصب صليب الحكومة ووثائقها ، ويضعها في قبر من القبور ؟

– أليس هذا اللوح هو من أوراق الامبراطور التي لا يسمح لأحد بالاضطلاع عليها في غير دواوين الامبراطورية .

وحتى لا نسترسل في الأسئلة والاستفسارات والتعجب ، نعود إلى "**ملر**" الذي يقول : انتشرت أخبار هذا الاكتشاف الغريب ، بسرعة البرق ، في جميع أرجاء المسيحية ، وأثارت

حماساً شديداً في النفوس .

ثم يضيف "**ملر**" ليزيدنا غضباً ومقتاً لهذا التاريخ الكاذب المليء بالتدليس والخرافات ، وأحسبه كان يهزأ فيما أضاف ، قائلاً] : ولما كان من المشكوك فيه ، إلى أي واحد من الصلبان الثلاثة يتعلق اللوح المكتوب ، فلم يمض وقتاً طويلاً إلا وقالوا إنه حدثت معجزة ، أظهرت الصليب اليسوعي وأثبتت حقه في هذا اللوح .

ومن الغريب المدهش ، أنهم قالوا إن نفس مسامير آلام يسوع ، وجدت أيضاً في ذلك القبر[1].

[وإلى هنا سكت **ملر** عما وجدوه من أشياء أخرى في القبر ، وسكت عن تحديد عدد المسامير التي وجدوها ، وعما إذا كانوا توصلوا إلى تمييز مسامير يسوع عن مسامير اللص الذي أحسن القول ليسوع وهو على الصليب فوعده بالجنة ، عن مسامير اللص الذي ظل يسخر من بكاء يسوع وصراخه وطلبه للماء] .

وانتقل بنا **ملر** إلى قاعدة بيانات الكنيسة ليكشف لنا ما

---

(١) المصدر السابق .

حدث لهذه الصلبان والوثائق ومسامير الصلبان ، لكنة سرعان ما خيب ظنوننا ، وتغافل تماماً الوثائق التي هي أخطر ما تمخض عنه هذا الاكتشاف ، كما تغافل عن المسامير التي ثقبت جسد المسيح الرب (عندهم) ، وجذبنا فقط نحو الصـليب ، ومـا حدث له ، فقال :

ولسنا في حاجـة أن نقـول إن هـذه [هكـذا بصـيغة الاستنكار] التي اعتبروها كنوزاً ثمينة ، كانت رأس مال عظيماً للتجارة وجمع الأموال ، لأن أجزاء من الصـليب حُوِّلـت إلى صلبان صغيرة للأغنياء ، وأجزاء أخرى دُفنـت في الكنـائس الرئيسة في الشرق والغرب ، حتى قال بعض الظرفاء [والقول لأندرو ملر] : "هكذا أُخرِجَت خشبة الصليب بسرعة ، حتى صارت غابة عظيمة في وقت قصير"[1] .

عبادة الخشب والحديد والقماش

[ثم يعقب القس **ملر** في سخرية شديدة قائلاً] : ولسنا في حاجة أن نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك في هذا الموضـوع ،

---

(١) صفحة ٥٥٤ .

سوى أن نذكر مثالاً عملياً ، أنه في الأسبوع المقدس من كـــل عام ، كان البابا والكرادلة (جمع كاردينال وهو في مقام نائب البابا) ، يذهبون في موكب عظيم إلى كنيسة القديس بطـــرس [الملاصقة لمقر البابوية في المبنى الفاتيكاني في رومـــا] لتقـــديم العبادة لآثار ثلاثة ، توصف بالعظمى هناك ، فيركعون جميعاً في صحن الكنيسة أمامها ، وهي موضـــوعة أمـــامهم في شـــرفة عالية[1] .

أما الآثار الثلاثة العظمى فهي :

- قطعة خشب ، باقية من الصليب .

- قطعة حديد يقولون أنها جزء من الحربة الـــتي اخترقـــت جنب الرب يسوع .

- قطعة قماش يقولون أن ربهم الذي له المجد عندهم ، طبع عليها صورة وجهه المقدس بطريقة معجزة .

ولم يوضح **ملر** ما إذا كان الرب قد احتاج لطبـــع هـــذه الصورة في مناسبة بعينها أم لا ، كما لم يوضح **ملـر** أو المصدر

---

(١) المصدر السابق .

العلمي الذي نقل هو عنه ذلك ، عما إذا كانت هذه الصورة ملونة أم أبيض وأسود ، ولكن المؤكد أنها بنفس الحجم الطبيعي .

وإذا كان الأمر على الحقيقة مثير للشفقة والأسى على حال المسيحيين وهذا المعتقد الوثني المستفز ، فيبدوا أن **أندرو ملر** ، لم يستطع صبراً كصبرنا ، ولم يتحفظ مثلي لكوني أكتب عن عقيدة مخالفة لعقيدتي ، فكتب قائلاً نصاً دون حذف أو إضافة أو تدخل في الصياغة : " فهل هناك سخافة أو ضعف بشري ، أو قوة شيطانية تبلغ في مداها إلى أبعد من هذا الحد ؟"[1] .

.ثم يتساءل في حسرة ومرارة شديدين : " بماذا يمكن أن نعلل هذا الذي يحدث ؟"

ثم يعقب : "أناس متعلمون ، وفي أحيان كثيرة حكماء وأتقياء ، يجثون (ما بين الركوع والسجود) في تعبد عميق أمام قطعة من الخشب التالف ، مع رمح مكسور ، وخرقة ملونة ؟!! . . . . حقاً إن هذا لا يمكن تعليله إلا بالعمى الروحي

---

(١) صفحة ٥٥٥ .

الذي يصيب أناس على مبدأ التأديب والقضاء الإلهي . إنها ظلمة حالكة قد خَيَّمت على الناس ، قسوس وعلمانيين ، ولأجيال عديدة ، بسبب إصرارهم على إخفاء كلمة الله ، وإطفاء نور الروح القدس(١) .

ولم يفت **ملر** أن يصرح عما أخفاه من قبل ، قبل أن ينهي حديثة عن صليب يسوع وعبادته ، فيقول :

" لقد أصبحت كل هذه الأشياء فروعاً هامة من فروع التجارة الكنسية ، ونكتفي منها بذكر:

– الآنية المقدسة ، التي شرب فيها يسوع الخمر يوم العشاء الأخير ، وهي عبارة عن كأس من الزجاج الأخضر .

– القميص المقدس الذي بغير خياطة ، والذي كان يلبسه [بحسب تعبير "ملر"] ربنا المبارك .

– القميص المقدس الذي قيل أن **الامبراطورة هيلانة** أهدته إلى رئيس الأساقفة في **تريفس** .

ولم يوضح "ملر" مَنْ صاحب الأثر الأخير ، الذي هو القميص المقدس : أهو قميص الرب ؟ ، أو هو قميصها هي ؟ ، أو هو قميص اشترته القديسة للقديس ؟

---

(١) المصدر السابق .

من يكسر الصليب

في بداية القرن الثامن ، كانت الكنائس الشرقية قد ضعفت كثيراً من جراء انتشار الفلسفة الأفلاطونية واختراقها لعقيدة المسيحية ، في صورة "علم لاهوت عقلي" تسبب عنها نزاعات مستمرة لم تغادر تاريخ الكنيسة الشرقية حتى يومنا هذا .

أما في الغرب ، فكانوا يتجنبون المنازعات ، وكان كل همهم محصوراً في الحصول على السلطان ، وقد قضى الله على كليهما ، فاستخدم "الإسلام" عصا تأديب شديدة في الشرق ، كما استخدم الرومانية في الغرب .

هذا ما قاله **أندرو ملر** نصاً[1] ، ثم استطرد شارحاً ذلك في إيجاز شديد فقال : "بينما كان العرب تحت قيادة أبي بكر ، ثم عمر ، يفتحون بلاد اليونان ويسيطرون على المقاطعة بعد الأخرى من الامبراطورية ، اكتفى الامبراطور بإرسال الجيوش لمحاربتهم ، وبقي مشغولاً في عاصمته بمناقشة الخلافات اللاهوتية ، إذ كانت هناك منازعتان عظيمتان في ذلك الوقت ،

---

(١) صفحة ٣٨٦ .

تزعجان العالم الصليبي كله:

الأولى : هي منازعات المشيئة الواحدة للرب ، وهي تقريباً إحياء للمنازعة القديمة حول الطبيعة الواحدة .

الثانية : وهي عاصفة تكسير التماثيل (والصليب) ، لأنها دخلت إلى قلب المسيحية بشكل أعظم من أية منازعة أخرى ، وهي تشكل عصراً مهما في تاريخ الكهنة الرومان . وفيها تظهر إيزابيلا في صورتها الحقيقية ، دفاعاً عن الباباوات الذين كانوا يجلسون على كرسي **بطرس** الرسول ، وقد أجازوا عبادة التماثيل ودافعوا عنها جهاراً .

وهنا تتكشف أسس البابوية ، ويظهر أن الاضطهاد وعبادة الأوثان ، هما العامودان اللذان عليهما ارتكزت سيادتهما الغاشمة[1] [على شعب الكنيسة] .

ثم يضيف "ملر" : إذ توجد أدلة كافية ، للاعتقاد أنه إلى أكثر من ثلاثمائة سنة بعد بدء انتشار المسيحية ، لم تكن هناك تماثيل ، ولا أشياء منظورة لها اعتبار ديني ، ولم يكن يوجد شيء من ذلك في الطقوس الجهرية للكنائس ، ولا من العبادة السرية

---

(١) صفحة ٣٨٧ .

في البيوت ، قبل أيام قسطنطين . . . وقبل ذلك كان المسيحيين يضحون بأنفسهم ضد عبادة الأصنام عند الوثنيين ، ولأجل ذلك كانوا يتعرضون للاضطهاد والموت ، ومما يجدر التنبيه إليه ، أن **الامبراطورة هيلانة** والدة قسطنطين ، كانت هي أول من أغرى المسيحيين بتلك الخرافة"[1] .

إذ لمّا قيل إنها اكتشفت خشبة الصليب ، فكان ذلك كافياً لوصول الشيطان إلى غرضه ، وكان ذلك هو الذي أضرم في الطبيعة البشرية ، حب احترام الأشياء المادية ، وانتشرت النار بسرعة ، حتى كانت النتيجة هي : "عبادة الصليب والأصنام" . . . وهكذا وُجدت تذكارات أخرى للمُخَلِّص وتذكارات أخرى للعذراء مريم ، وللرسل ، وللآباء وللقديسين التي كانت مخفاة منذ أجيال ، فنجحت مكيدة العدو في إيقاع الكنيسة كلها في الشرك ، حتى جاء زمن البابا **غريغوري الكبير** ، فأصبحت الصور والتماثيل والرسوم المنظورة للأمور المقدسة ، هي السبيل لتعليم الشعب "الإيمان" ، وتشجيع التعبد ، وتقوية الدين .

---

(١) المصدر السابق .

وهكذا [يقول **ملر**] توطدت دعائم الوثنية في الكنيسة الشرقية قبل نهاية القرن السادس ، ثم تقدمت في الغرب تقدماً محسوساً مع القرن السابع ، فأصبح من الشائع جداً السجود للتماثيل ، والصلاة لها ، وتقبيلها ، ووضع اليد عليها عند القسم[1] ، إلى أن جاء الامبراطور "ليو السادس" عام ٧٢٦ ، بعد مائة عام من ظهور الإسلام ، وبعد خمسين عاماً تقريباً من دخول الإسلام إلى أوروبا ومناجزة المسيحيين عبادتهم الوثنية للصليب والصور والتماثيل والأصنام ، [فيقول **ملر** :] أخذ ليو على عاتقة تطهير الكنيسة من أصنامها المقوتة مقابلاً المشقات الكثيرة في هذا السبيل ، وإذا كان التاريخ الكنسي صَمَت عن ذكر البواعث التي حركت الامبراطور لذلك العمل ، فإننا نعتقد أن ظهور الإسلام ونجاحه ، واعتقاده بالتوحيد ، قد أثر على الامبراطور تأثيراً كبيراً . . . وكان المسيحيون كثيراً ما كانوا يسمعون تعبيراً من اليهود والمسلمين ، بأنهم : يعبدون الأصنام[2] .

يقول ملر : اعتلى ليو عرش الامبراطورية عام ٧١٧ ، ولما

---

(١) ص ٣٨٨ .

(٢) ص ٣٨٩.

استقرت مملكته من حروبها الخارجية ، انشغل بترتيب البيت من الداخل ، فكان أول ما اهتم به ، هو بيت الكنيسة ، فأصدر قراره الأول عام ٧٢٦ ، بتحريم عبادة التماثيل التي وصفها بالخرافية ، وذلك بوضعها في أماكن عالية لا تصل إليها الأيدي ، فلا يمسها أحداً للتبرك بها ، ولا يُقَبِّلها أحداً للتقديس ، ولا يسجد أمامها أحد .

وعلى مضض ، استقبلت الكنائس قرار الامبراطور ، فكان من القسس والرهبان من استجاب وأقنع شعبة بالاستجابة وهناك من لم يستجيب على الحقيقة واكتفى بممارسة عبادة أصنامه في الخفاء والامتثال للقراء في العلن ، لكن طائفة ثالثة رفضت تماماً الامتثال ، مصممة على عبادتها للصليب وللأصنام ، بالسجود والركوع والتقبيل وتقديم القرابين وإضاءة الشموع وتقديم النذور لها ، مما استفز الامبراطور ، وحدا به إلى إصدار قرار ثانى بإبادة الصلبان والأصنام جميعاً .

يقول **ملر** : ولكن في اللحظة التي امتدت فيها جنود الامبراطور إلى التماثيل لإبادتها ، عظم الهياج وعم في كل مكان ، المتعلمين والجهلة ، الكهنة والفلاحين ، الرهبان

والجنود ، الرجال والنساء ، بل والأطفال(١) .

وهكذا تستبين الأمور ، لتفضح ما فعلته إرهاصات الكنيسة وخرافاتها في عقول المسيحيين ، وقد استحالت في عقائدهم أن عبادة الأصنام والأوثان من أصل الإيمان ، وأن ما يمس حجارتها كأنما يمس يسوع الرب ، فكانت الحرب الأهلية ، في دولة الامبراطور ، وبين الشرق والغرب في وقت واحد .

يقول **ملر** : "وقد لعب الرهبان على الأخص ، دوراً مهماً في تأجيج مشاعر الناس ، فاختاروا من بينهم من رشّموه للإمبراطورية بدلاً من الامبراطور القائم ليو ، ووزعوا الأسلحة على الجمهور ليحمي نفسه من جنود الامبراطورية ، وأعدوا أسطولاً عند القسطنطينية عاصمة الكنيسة الرومانية الشرقية ، لكن النار اليونانية التي اندلعت في كل مكان لحماية سلطانها ، تغلبت على أولئك الثائرين ، وقُبِضَ على قادتهم ، ونُفِذَ فيهم حكم الإعدام الفوري ، وأصدر الامبراطور قراره ليس بإبادة الأصنام وكسر الصلبان وحسب ، إنما ودهان الحوائط لطمس ما عليها من نقوش أو زخارف كَنَسيِّة(٢) .

---

(١) ص ٣٨٩ .

(١) ص ٣٨٩ .

وانطلق جنود الامبراطـور ينفـذون القـرار ، ويثـأرون لأنفسهم ، فلم يتركوا صـنماً إلا وحطمـوه ، ولا تمثـالاً إلا وأسقطوه ، ولا لوحة إلا مزقوها ، ولا صورة إلا وحرقوهـا ، ولا صليباً إلا وجعلوه فتاتاً ، دون اعتبار لقداسة ، ولا اعتبـار لصاحب صنم ، ولا اهتمام بسلطان كاهن .

فلما تجاوز الجنود كل الحدود ، اندفع الناس غـير مبـالين بخطر الموت ، فهجموا على الجنود ، وذبحوهم ، فتجرأ الجنـد على الناس وفعلوا فيهم المثل بالمثل ، وهكذا امتلأت شـوارع القسطنطينية بالدماء والأشـلاء ، كمـا امـتلأت السـجون بالمعتقلين ، وأعدم عدد كبير مـن قـواد التمـرد ، وعُـذِبَ كثيرون ، ونفي كثيرون إلى جهات قاطبة .

ثم يستطرد **ملر** : "وكان الامبراطور قد أصدر أوامره إلى أحد الضباط ، بتحطيم صنم للمخلص يسوع الـرب ، كـان مقاماً على الباب النحاسي للقصر الملكـي ، وكـان النـاس يعتقدون في هذا الصنم أنه يعمل معجـزات ، وأن لـه قـدراً متميزاً من التقديس والاحترام في النفوس ، فاجتمعت الجماهير يتوسلون إلى الضابط أن ينجي صنمهم المحبوب [المعبود] .

لكن الضابط المأمور من الامبراطور ، ما كان يملك عصيان الأمر طاعة لتوسلات الجمهور ، وصعد إلى السلم وضرب بفأسه وجه الصنم الرب يسوع ، الذي طالما نَظَرَوا إليه ، وكلهم اعتقاد بأنه يبادلهم الحب بالحب والحنان بالحنان ، فتوسلوا من السماء أن تتدخل في الأمر ، فلما لم يحدث شيئاً من المعجزات ، هجم الناس على السلم وأوقعوا الضابط أرضاً ، وقَطَّعوه إرباً إرباً [بحسب تعبير ملر] ، وهناك حدثت مذبحة جديدة فظيعة ، أما الصنم فقد هدم تماماً دونما يدافع الصنم عند نفسه ، ووضعت في مكانه لوحة مكتوب عليها إعلان بكراهية الامبراطور للأصنام[1] .

واتسعت مساحة حركة **ليو** الرافضة للوثنية في دين المسيح عليه السلام ، لكن ذلك الرفض كان سيتبعه بالضرورة في مرحلة تالية رفض تقديس البشر ، وتأليه الأساقفة ، وسلطان الكهنة والكهنوت كله ، باعتبارها هي الأخرى بدع وثنية وتقاليد وطقوس لا أصل لها في المسيحية الأولى .

لذلك ، أعلن البابا في روما رفضه لقوانين الامبراطور **ليو**

---

(١) ص ٣٩٠ .

وجعلها تمرداً على يسوع الرب ، ورفضه لهيكلـــه المقـــدس ، وازدراء للعقيدة ، فأعد هو الآخر أدواته الدفاعية والأخــــرى الهجومية ، ولملم كل أتباعه في أنحاء الامبراطورية ، معلناً الجهاد في سبيل صليب الرب وصنمه وصنم أمه .

يقول **أندرو ملـر** : "والرهبان إذ رأوا أن مهنتهم [!!] في خطر ، إذ أنهم مدينون لهذه الخرافات كلها بالنفوذ والغـــنى الذي يعيشون فيه ، فأعلنوا في كنائسهم أن الامبراطور ارتـــد عن دين الرب ، وصوروه كمن جمع في شخصه كل الخرافات والهرطقات التي هي وراء فساد الإيمان التاريخي علـــى مـــدى التاريخ . وتوالت رسائل البابا (**غريغوري الثاني**) تـــدافع عن مكانة البابا وتحمي له القداسة الإلهية ، بدفاعه عن صـــليب وصنم الرب وأمه[١] .

فماذا كتب البابا الأكبر للمسيحية ؟

يقول **ملـر** : "دافع البابا عن عبادة الأصنام ، فاجتهـــد أن يثبت للامبراطور الفرق بين الأصنام المسيحية ، وبين الأصـــنام الأثرية فقال : أن الأخيرة كانت تمثيلاً خيالياً لأرواح شريرة ،

---

(١) ص ٣٩١ .

أما الأول فإنها صور حقيقية للمسيح ووالدته وقديسيه [هكذا كذب البابا][1].

البابا الكذاب

وتحت عنوان "روح كذب في فم البابوية" ، يقول **ملر**: "إذا قرأنا بإمعان تلك الرسائل القديمة ، لا يمكننا أن نعتقد أن **غريغوري** كان جاهلاً إلى هذه الدرجة ، حتى أنه يسرد حججاً كثيرة للامبراطور في الدفاع عن عبادة الأصنام ، ولكننا نرجح أنه كان يعلم أنها باطلة فكتب يقول له : "إنك جاهل عنيد ، لأن أعمالك مخالفة لشهادة الآباء وعلماء الكنيسة ، ومناقضة لسلطة المجامع المسكونية الستة" .

ثم يعقب **ملر** على هذه الأقوال مؤكداً أنها : واضح بطلانها بشكل يدعونا أن نعجب كيف يجرؤ إنسان ما ، على سردها كوقائع ثابتة ، فما بالكم وهذا الإنسان هو الرئيس الأعلى لرجال الدين في العالم ، فجاء روح الكذب في فمه ، ذلك إنه لم تُذكر كلمة واحدة في أحد المجامع بخصوص الأصنام

---

[1] ص ٣٩١ .

وعبادتها ، كما أن ذكر شهادة الآباء هو أيضاً محض افتراء من البابا الكاذب ، لأنه لم يوجد أي ذكر لعبادة الأصنام في كتابات الآباء خلال القرون الستة الأولى المسيحية ، باستثناء كتابات **غريغوري** نفسه[1] .

لكن على ما يبدوا أن الكذب كان متأصلاً في عقول وعبادة كبير رجال الكنيسة على أسوأ ما يكون الكذب ، فينقل "ملر" عنه قوله : "إن هيئة ظهور المسيح في الجسد ، أثرت في أذهان تلاميذه تأثيراً عظيماً ، حتى أنه ما وقعت أعينهم عليه ، حتى أسرعوا بصنع صور كثيرة لشخصه ، كانوا يحملونها معهم ، عارضين إياها في كل العالم ، فإذا ما رآها الناس سجدوا لها تكريماً واحتراماً .

ويعقب **ملر** : "حقاً إن هذا كاف ، لأن يبين للقارئ روح البابوية وصفاتها منذ نشأتها ، فقد كانت نظاماً " كاذباً " ممتزجاً بـ " الوثنية "[2].

(١) ص ٣٩٣ .
(٢) ص ٣٩٤ .

إلى أن جاء **غريغوري الثالث** من بعده ، فأعاد للأصنام احترامها ، وعقد من أجلها مجمعاً [مؤتمراً] ضم ٩٣ أسقفاً وكل كهنة روما ، وقناصلها ، جمهور كبير من الناس ، وأصدروا منشوراً رسمياً موقعاً عليه باسمهم جميعاً ، يقول : "إنه من يتلف أو حتى يُجَدِّف (يسيء) إلى صنم مقدس لإلهنا وربنا يسوع المسيح ولوالدته الطاهرة العذراء ، أو لرسله المباركة وسائر قديسيه ، فإنه يُحرم من جسد الرب ودمه ، كما يُحرم من شركة الكنيسة[١] .

فزاد وطيس العداء بين الامبراطور والكنيسة حتى بعد ما مات **ليو** و **غريغوري الثالث** في عام واحد ٧٤١ ، فإن العداء ورثه **قسطنطين** ابن **ليو** ، و **زخاري** ، وريث **غريغوري** ، لمدة ٣٤ عاماً أخرى حكمها قسطنطين ، ثم مات وماتْ ابنه من بعده ، فتولت زوجة هذا الابن حُكم الامبراطورية باسم ولدها حفيد قسطنطين ، وكانت تدعى "إيرينا" لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل عبادة الأصنام في الكنيسة .

(١) ص ٣٩٤ .

عقدت **إيرينا** مجمعاً كنسياً ضخماً ، جعلت له مكانـــاً ذا أهمية في تاريخ الكنيسة ، وهو مدينة **نيقيـة** التي انعقد بها أول مجمع مسيحي في القرن الرابع ، كما حشدت له الامبراطـورة نحو ثلاثمائة وخمسون من رجال المسيحية ، وجعلت الموضـوع الرئيس لهذا المجمع هو تحديد موقع أعداء الأصنام المقدسة مـن الكنيسة ، وكانت النتيجة التي انتـهى إليهـا كـل رجـال اللاهوت ، هي إصدار قرار باعتبار التعدي على الأصنام ، أردأ أنواع الهرطقة وأشرَّها ، واعتبارها إنكاراً للمسيح ، فقال نص القرار : "يجب أن تُحفظ مع الصليب ، المحيي ، المُكَرَّم ، جميـع الأصنام المقدسة ، وعلى الأواني و الملابس المقدسـة ، وعلـى الحوائط والقواعد في البيوت والطرقات العامة . وهذه الأصنام يجب أن تعامل كتذكارات مقدسة ، فَتُـقَبَّل ، ويُسجَد لهـا ، وكل من يخالف ذلك ، بالقوة أو الحيلة ، يُجَـرَّد مـن رتبتـه ويُحْرَم"(١)

ويعقب **ملر** على هذا المجمع، والقرار الذي صـدر عنـه

(١) ص٣٩٦ .

فيقول : "ولم يكتفى المجمع بهذا القرار المكتـوب ، ولكنـهم رددوا بصورة جماعية قولهم :

" نحن جميعاً نؤمن ونقر ونعترف

أن هذا [عبادة الأصنام] هو إيمان الرسل

وهو إيمان الكنيسة

وهو الإيمان الصحيح

نحن الذين نعبد الثالوث الأقدس

نسجد للأصنام

ومن لا يفعل ذلك عليه أناثيما [آثام]

أناثيما على كل من يسمى الأصنام أوثاناً

أناثيما على كل من يخالط من لا يسجد للأصنام

ومجد أبدي للرومان مستقيمي العقيدة

وليوحنا أسقف دمشق

وغريغوري بابا روما

مجد أبدي لكل المبشرين بالحق " [١] .

---

(١) ص ٣٩٦ .

ويستطرد **ملر** : على هذه الكيفية ، انتهت مشكلة عبادة الأصنام في الكنيسة ، التي تعتبر أخطر المشكلات التي قامت منذ أن أصبحت المسيحية ديانة روما" .

وهكذا أقر المجمع المسكوني السابع ، "الأصنامية" رسمياً ، كموضوع للسجود ، وأوقع الحِرمَانَات على كل من يخالف ذلك .

وهكذا (والكلام ما زال لـ **ملر**) ونحن نتأمل [القديسة] ، أنْ أول من أنشأ عبادة الأصنام : "امرأة" هي **إيزابيلا** .

وآخر من أعادها بعد أن أُبطلت : "امرأة" هي **هيلانة** أم قسطنطين الأكبر ، استخدمها الشيطان لتحويل العبادة الروحية إلى وثنية .

ثم **إيرينا** الماكرة ، أيضاً استخدمها الشيطان أيضاً لإعادة السجود للأصنام وتثبيته كنسياً كطقس من طقوسها المقدسة(١) .

---

(١) ص ٣٩٧ .

وما زالت حرب الصلبان مستمرة

بعد هذه الفقرة الأخيرة التي خَتَمْتُ بها الصفحة السابقة ، نقلاً عن القس **أندريه ملر**[1] من الجزء الأول من موسوعته (مختصر تاريخ الكنيسة) ؛ حسبت حقاً أن الرجل صادقاً في هذه العبارة ، وأن حروب المسيحيين المدافعين عن الوثنية ؛ قد انتهت بانتصارهم على خصومهم المسيحيين الرافضين للوثنية ، وظننت أن الرافضين قد أعلنوا استسلامهم ، وفوضوا أمرهم لله ضعفاً وهواناً .

إلا أن القس الأرثوذكسي **تيموثي وير** الأستاذ بجامعة أكسفورد[2] ، أكد أن حركة **إيرينا** ، لم تكن الأخيرة في قصة الصراع بين عَبَدة الأيقونات ورافضيها ، وأن **ليون الخامس** الأرمني تولى حكم الامبراطورية عام ٨١٥ ، قام بهجوم جديد ضد الأيقونات بعد حوالي مائة عام من الهجوم السابق الذي

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٧ .

(٢) تيموثي وير . ترجمة هاشم الحسيني (من حركة الشبيبة الأرثوذكسية في بيروت) : الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر بطريركية أنطاكيا ، منشورات النور ، سوريا ، صدر عام ١٩٦٣ ، وترجمة عام ١٩٨٢ .

قاده **ليو الثالث** عام ٧٢٦ ، وانتهى عام ٧٨٠ ، حين تصدت له الإمبراطورة **إيرينا** ، وتأيدت خطتها بالمجمع المسكوني (المؤتمر العالمي الكنسي) السابع الذي عقد عام ٧٨٧ في مدينة **نيقية** ، التي عقد بها المجمع الأول قبل أربعة قرون ونصف القرن .

والمفاجأة الطريفة أوردها **تيموثي وير** ، أن معارك الإمبراطور ليون الخامس استمرت لأكثر من خمس وعشرين عاماً ، إلى أن تصدت له المرأة الثالثة في تاريخ الصليب وهي الامبراطورة **ثيودورا** عام ٨٤٣ ، التي – بحسب تعبير تيموثي – ردت الاعتبار نهائياً للأيقونات .

وبهذا الخبر يتبين لنا أن حركة **إيرينا** لم تكن الأخيرة في قصة الصراع حول بدعة الصليب وعبادة الأيقونات[1] ، بل وأضاف القس **تيموثي** أن حركة **ثيودورا** كانت أعظم كثيراً من سابقتها ، إذ عُرف هذا الانتصار الأخير باسم (انتصار الأرثوذكسية) ، الذي جعله أرثوذكس العالم عيداً لهم حتى هذا اليوم ، ويجعلون له صلاة خاصة تعرف باسم (أحد

(١) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

الأرثوذكس) الذي هو الأحد الأول من صوم الأربعين المقدس عندهم ، حيث ينشد المرتلون في هذه الصلاة باللعنة ثلاث مرات على محاربي الأيقونات ، فيقولون نصاً في هذه العبادة : هؤلاء الذين لا يعترفون بالمجامع الناطقة بكلام الآباء القديسين اللاهوتي ، الملهم به من الله ، فليكونوا ملعونين ، ملعونين ، ملعونين)[١]

وللحقيقة ، فبرغم عنصرية القس الدكتور تيموثي وير ، وانحيازه الشديد في كتابه لدعاة الصليب والأيقونات ، إلا أنه كرجل أكاديمي ، لم يغفل بيان أسباب موقف رافضي الأيقونات ، وإجلاء الحقيقة التي جعلت كلا الطرفين يبذل كل هذه الدماء من أجل هذه القضية التي قد تبدوا للناظرين من الخارج أنها أهون من ذلك ، فيقول : إن رافضي الأيقونات ، بموقفهم هذا ، لا يأخذون بعين الاعتبار كل معاني التجسد الإلهي ، برفضهم لتصوير الله ، وتنزيهه عن أن يكون مادة ، وأن وجود الله هو وجود روحي أسمى من أن يكون وجوداً محسوساً .

ثم يستطرد تيموثي : وهذا الموقف يشكل تنكراً لمفهوم

(١) المصدر السابق

التجسد إذ لا يترك مكاناً لطبيعة المسيح البشرية ولا لجسده ، ويتناسون – بحسب تعبيره – أن جسد الإنسان مثل روحه ، مدعواً للخلاص والتجلي ، ومن هنا نفهم أن حروب الأيقونات متصلة اتصالاً وثيقاً بالخلافات القديمة حول شخص المسيح ، وإنها لم تكن مجرد جدال حول الفن الديني ، إنما تتعدى ذلك إلى مفهوم التجسد وخلاص الإنسان . . .عندما تصبح الأيقونة حاملة للروح القدس[1] .

أما المؤرخ المصري **جاد المنفلوطي**[2] ، فقد حاول جاهداً أن يجد مبرراً ليبريء ساحة المسيحيين الأوائل من أن يكونوا أهل توحيد ، وأن نزعة الحرب ضد الأصنام والأوثان والصلبان ، إنما هي بتأثير خارجي عن ملّة النصرانية ، فقال : عندما سيطر المسلمون على بلاد الشرق ، وشاهدوا الصور واللوحات معلقة في الكنائس ، ورأوا الناس يتبركون بها ويسجدون أمامها ، وجد المسيحيون ذواتهم متهمين بتهمة

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨- ٤٩ .

(٢) جاد المنفلوطي : تاريخ المسيحية (ج ٢) دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٥٢ .

(٣) أحد المنسوب إليهم كتابة واحد من كتب العهد الجديد المسيحية .

الشرك والانحراف عن عبادة الإله الواحد الأحد ، وتأيد هـــذا الاتهام بالقرار الذي أصدره مجمع نيقية الثاني (٧٨٧غ) بعـــدم التعرض للأيقونات والصور .

وفي القرن الثامن عادت مشكلة الصـــور للظهـــور مـــن جديد . . . . إذ لم يقف الأمر عند تكريم (الجهلة) للصور ، لكن تطور الأمر إلى حد اعتبارها أشياء خارقة ، لدرجة بلغت حد القول بأن **لوقا** قد رسم بعضاً منها ، كما قيل أيضاً أن **يسوع** هو الآخر قد رسم بعضها ، وشاع القول عن بعض الصور بأنها ليست مـــن صنع البشر .

ثم يستطرد المؤرخ الكنسي **جاد المنفلوطي** قـــائلاً : وقـــد حاول الإمبراطور **ليـــو** سنة ٧٢٦ غ ، أن ينفي عن المسيحية تهمة الشرك وتقديم العبادة لغير الله ، لكن ذلك لم يلق قبولاً من أحد من القادة الدينيين ، فكان ذلك سبباً آخر من أسباب توســيع شُــقة الخلاف بين الشرق والغرب .

وبعد وفاة **ليـــو** ، خَلَفَه على عرش الإمبراطورية ابنه قسطنطين الخامس الملقب **كبرونيمـــوس** ، فكان أكثر تشدداً من أبيـــه في معارضة الأصنام والصلبان ، ولما لم يستطع مقاومة الرأي العـــام ؛

دعا إلى عقد مجمع مسكوني ، أصدر قراراته بوجوب إزالة الصور والأصنام من الكنائس ، حتى صور الصلبوت [التي هي أقدس صورة عند المسيحيين] ، كما حُرِمُوا من وضع الصور في البيوت أو استخدام أي رمز ديني ، وعلى إثر ذلك ، تم جمع الصور والأصنام من كل كنائس الامبراطورية وتحطيمها[1] .

ويشاء الله لهذا المؤرخ المصري الكنسي أن ينطق بالحق ، وأن يؤكد على أسبقية دعوة محاربة الأصنام بين المسيحيين الأوائل لرسالة الإسلام ، فيقول مناقضاً لما قاله في الصفحة السابقة مباشرة من كتابه وكأنه نسي ما كتبه :

وقصة الصور في الكنيسة قصة قديمة ، ترجع إلى عهد البابا غريغوريوس الأول ، إذ يروي التاريخ أن (سيرنيوس) أسقف مرسيليا ، وجد أناساً يسجدون أمام الأصنام ، فأمر بتحطيمها جميعاً ، ولما بلغ الأمر مسامع البابا ؛ كتب إلى هذا الأسقف يقول : إني أحيي فيك هذه الغيرة المقدسة ، لمنع السجود لغير الخالق العظيم . . . .)[2]

ومن **تيموثي وير** و **جاد المنفلوطي** أمسكت خيطاً

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

جديداً ، ووجدت أهمية إعادة البحث عما إذا كانـت **ثيـودورا** هي محطة النهاية ، أم هي حلقة في سلسلة صراع عبادة الأيقونات والصليب في الديانة المسيحية ، فرجعت إلى الجـزء الثـاني مـن موسوعـة **أندريه ملر** ، لأجـد أن **هيلانة** و **إرينا** و **ثيـودورا** ، لم يَكُنَّ إلا الشرارات (جمع شرارة) الأولى التي أشعلت نارا في ثوب المسيحية ، لم تغادره أبداً ، وأن الضحايا لم يكونوا عشرات أو مئات ، إنما آلاف سقطوا دفاعاً عن الصليب والأيقونات ، أو دفاعاً عن تنـزيه الله من أن يُعبد في صورة صنم من حجر ، أو رسم على حائط ، أو وشم علـى جسـد ، وأن عبارة (صراع الصليب والأيقونات) هي اختزال معيب للحقيقة وتفاصيلها .

وفي الجزء الثاني من موسوعة **ملر** ، كانت الفقرة الأولى من الكتاب هي كالتالي نصاً : حقل دم جديد ، ونوع آخـر مـن الحروب ، يختلف كل الاختلاف عن سابقيه ، لم تكن الحـروب هذه المرة ضد أعداء الإيمان المسيحي في الخارج ، أو ضد ملـوك رجعيين في الداخل ، بل هي حروب نكراء شنتها الرومانية ضـد

أتباع الرب يسوع المسيح والمعترفين باسمه[1] [واستغفر الله من نقل الشرك] .

ثم يبدأ **ملر** في استعراض ما حدث لهؤلاء الأتباع ، أفراداً وطوائفاً ، من جراء مواقفهم الدينية من الكنيسة الرومانية الأم ، ومن جراء آرائهم الرافضة للوثنية والفساد والرشوة والدجل والشعوذة والكهانة والضلال والفواحش ، وكل ما يحمله قاموس الكبائر والصغائر من ذنوب البشر .

غير أننا بحسب دراستنا ، لن نهتم بغير الأسماء والطوائف التي كان لها موقفاً متعلقاً بقضية الصليب والأيقونات في تاريخ الكنيسة ، ونذكر منها إسمان على سبيل المثال لا الحصر .

كلوديوس : كان مشهوراً كمفسر للكتب في ايطاليا ، إلى أن أصدر الامبراطور قراراً عام ٨١٤غ ، بتعيينه في منصب أسقف لكنائس منطقة **توران** ، فلما توجه إلى مقر أسقفية الكنيسة الكبرى ؛ وجدها ملأى بالصور والتماثيل ، ومزخرفة بالأزهار والأكاليل ، فأمر في الحال وبشدة خالية من كل مجاملة ، نزعها جميعاً وفوراً ، ولم يسمح بالتمييز بين صورة أو أثر أو صليب ، فالكل يُباد ، معلناً في الوقت نفسه أن عبادة مثل هذه الأشياء ، ما

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣ .

هي إلا تجديد لعبادة الشيطان تحت أسماء أخرى ، مؤكداً أن كرامات ووظيفة أي قديس ؛ حتى القديس بطرس الرسول ، انتهت بانتهاء حياته .

البتروبروسيون : هذا الاسم مركب من اسم صاحب هذه الطائفة (**بيتر** أو **بطرس**) واسم المدينة التي جاء منها وهي (**بروس**) ، بدأ رسالته عام ١١١٠غ ، معلناً الرفض لكل أنواع الفساد العقدي الذي سيطر على الكنيسة الرسمية ، فلم يتصدى له أحداً على مدى عشرين عاماً ، إلا بعد ما أثبتوا عليه أنه حطم وحرق عدداً من الصلبان عليها صورة يسوع الرب، وهنا قامت الدنيا ولم تقعد ، ووجهت له قائمة طويلة من الاتهامات نذكر منها إنكاره للبدع التالية :

- تعميد الأطفال
- إقامة القُدّاسات (جمع قداس)
- البتولية (عدم الزواج)
- استحالة جسد ودم المسيح إلى خبز وخمر
- وعبادة الصلبان .

وبعد القبض عليه ومقاضاته في ضوء المحبة اليسوعية ، والسماحة المسيحية ، تم تنفيذ حكم الإعدام فيه بأبشع وسيلة قتل ، بأن يحرق حياً ، وتم تنفيذ الحكم .

اللولارديون : هذا الاسم الغامض ، لم يعرف له أحد من مؤرخي الكنيسة معنى ، إلا أنه كان مثل اسم إشارة لجماعة مسيحية ، ظهرت في بريطانيا مع نهاية القرن الرابع عشر (٣٩٥ غ) ، ينكرون سلطان بابا روما ، ويتمسكون بسلطان الله وحده ، ويؤمنون بأن خدام المسيح لابد أن يكونوا فقراء وبسطاء وروحيين ، وليسوا كهؤلاء الذين يتفننون في تصميم ملابسهم الكهنوتية وألوانها والرسوم التي عليها ، ويؤكدون أن الذين يحملون لقب رجال الدين (الإكليروس) هم أكثر الناس ارتكاباً للرذائل ، لكن أخطر ما فعلوه ، أنهم تقدموا بعريضة رسمية للبرلمان البريطاني يطلبون فيها إلغاء كل البدع التي لحقت بالديانة المسيحية ، وذكروا من بينها : العزوبية (عدم الزواج) ، طقس الاستحالة ، تقديم الهدايا والهبات للصور والأصنام ، الاعتراف السري .

ولم يكتفوا بذلك ، إنما وضعوا صورة من هذه المطالب على أبواب الإدارات العليا للدولة ، مما أثار حفيظة كبار رجال الكنيسة ، فأشاروا على الملك **هنري الرابع** أن يستصدر قانوناً لمعاقبة هؤلاء الخارجين .

كان القانون الكنسي حينذاك يوصي بحرق كل من يخرج على الآباء ، بأن يؤمر بعض الناس من غير رجال الدين ؛ أن يربطوا الضحية في عمود خشبي ؛ ثم إشعال النار من حوله ، وبذلك تكون

الكنيسة بريئة من حرق إنسان ، لأن أحد منـــها لم يتـــول تنفيـــذ الجريمة .

أما القانون الذي طالب به الآباء ليطبق على **اللولارديـون** ، فقد نص على ما يلي : " في مكان عـــام مرتفـــع ، أمـــام عيـــون الشعب " ؛ فاستجاب الملك **هنري الرابـع** ، وأصدر مرســـوم القرار عام ١٤٠٠ م ، وكان أول من نُفِّذ فيه هذا الحكم ، هـــو **وليم سـوتري** ، الذي قيل فيه : (ولأول مرة امتلأ جو لندن بدخان أسود من هذا النوع من الضحايا البشرية) .

يقول **ملر** : وقد حضر هذا الحفل المبارك مـــن رب رومـــا ، رؤســـاء أســـاقفة مـــدن **كـانتربري** ، **ويـورك** ، **ولنـدن** ، **وونشـستر** ، والمستشار الملكي .

أما الرجل الثاني من نفس الطائفة ؛ والذي لاقى نفس المصـــير كان فلاحاً بسيطاً يدعى **جون بـادبي** ، وكانت تهمته أنه رفض الإيمان بأن خبز الكنيسة المعجون بالخمر ؛ هو جسد المسيح ودمه ، وقبل إشعال النار فيه ؛ قال قولة بليغة : (إذا كان كل خبز يُقدس على المذبح هو جسد الرب ، فلابد أن يكون في انجلترا عشـــرون ألف رب ، وأنا لا أؤمن بغير إله واحد) .

جـون هـس : هو (يوحنا هس) ، من قرية صغيرة في ولاية بوهيميا الإنجليزية على حدود **بافاريا** ، تدعى هاسنتر ، ولد عـــام ١٣٩٦ غ ، ونبغ في الجامعة والكنيسة حتى صار (آب اعتـــراف) في كنيسة جامعته .

شاء الله له أن يعيش واحداً من المشاهد الدموية البشعة التي مارستها كثيراً الكنيسة البابوية في روما في نهاية القرن الرابـــع عشر ، عندما أرسل البابا يوحنا الثالث رسلاً ينـــادون بحـــرب صليبية (هكذا كان اسمها في أوروبا) ، ضد بعض الخـــارجين على سلطانه ممن عُرفوا إجمالاً في أنحاء أوروبا بــ (البروتستانت = المصلحين)

ولزم هذه الحروب الصليبية من الكنيسة البابوية ، أن تـــروج بصورة طارئة لمزيد من بيع صكوك الغفران المعروفة والتي اشتهرت بها الكنيسة البابوية حتى نهاية القرن الثامن عشر .

وبينما كان (باعة) هذه (الصكوك الغفرانيـــة) ، يســـاومون الناس على أثمان بضاعتهم ، وقعت عليهم اعتداءات وإهانـــات ، فتدخلت السلطتين الحكومية والكنسية في الأمر ، وصدرت الأوامر بالقبض علي المتمردين والمعارضين ، ثم إعدامهم حتى سالت الدماء من السجون إلى الشوارع ، وجاءت النسوة يغمسن مناديلـــهن في دماء أقاربهن ليحتفظن بها كتذكارات شهادة (بحسب اعتقادهن) ،

فاهتاجت العواطف إلى أقصى حد ، وهجم الشعب على بيت السجن ؛ وأخذوا أجساد أولئك الشبان الذين وجدوهم مقطوعي الرؤوس ، وحملوهم على أكتافهم في مواكب عظيمة ، دارت حول مختلف الكنائس وهم ينشدون ويرتلون تراتيل دينية [١] .

فلما هدأت العاصفة ؛ وجهت السلطات أصابع الاتهام إلى **جون هس** ، بأنه كان المحرك الأول لكل هذه الأحداث ، لأنه هو الذي كان يُعَلِم الناس أن :

- صكوك الغفران ضلال .
- وأن فطير الكنيسة باطل .
- وأن الكهنوت والأيقونات والصلبان والقرابين التي تقدم إليهم باطل .

فتم القبض عليهم ، بخيانة من الإمبراطور والملك ، وحفظاً لماء وجه الكنيسة ، حوكم محاكمة سرية ، تحولت بعد ذلك رغماً عنها إلى محاكمة علنية في ٥ يونيو ١٤١٥ غ ، ووجهت إليه إحدى وثلاثين تهمة ، واستمرت المحاكمة ثلاثة أيام متوالية ، دون الوصول إلى نتيجة ، بسبب الصراع الذي انتاب المحكمة بين خشيتها من طاغوت الكنيسة ، وخشيتها من إيقاع الظلم بالمتهم ، فتركوه ثلاثون يوماً ، أحالوا عليه أصدقائه وكبار أتباعه ليتراجع عن

---

(١) تاريخ الكنيسة ، مصدر سابق ، ص ٤١٥ .

أفكاره ويعتذر عنها ، فلما أصر على ما هو عليه ، ورأت الكنيسة أن تلجأ إلى حيلة تتخلص بها منه دون أن تتحمل هي دمه ، فأعلنت في هذه المحاكمة كفره وخروجه على الكنيسة ، وتجريده من رُتبَة الكنيسة ، ثم تسليمه إلى السلطة المدنية كرجل علماني وليس كرجل دين .

فلما أصبح **جون هس** في عُهدَة الامبراطور كمجرم ، أثار الرأي العام ، فأمر بإعدامه فوراً بنفس الطريقة البشعة التي اعتادتها الكنيسة مع خصومها ؛ حرقاً بالنار وهو حي ، في صبيحة يوم ٦ يونيو ١٤١٥ غ .

التابوريين : ازداد عدد أتباع **جون هس** بعد موته ، وكَوَّنوا حزباً شبه ديني ليقوم على نشر أفكاره التي قُتل حرقاً بسببها ، ولما ضاقت بهم السبل بسبب حصار السلطات المدنية والكنسية لهم ، وإغلاق جميع الكنائس في وجوههم ، اتفقوا على اللقاء في صورة مؤتمر مفتوح في يوليو ١٤١٩ للاحتفال بعشاء الرب في الهواء الطلق ، على قمة جبل شاهق جنوبي مدينة **براغ** بألمانيا تحت قيادة رجل قوي يدعى **زوسكا الأعور** .

وعلى قمة هذا الجبل ، نُضِّدَت ثلاثمائة مائدة ضخمة جلس عليها اثنان وأربعين ألفاً من الرجال والنساء المسيحيين الرافضين

للكاثوليكية والبدع المذمومة عندهم ، ولم يسمحوا في هذا اللقاء الضخم بشرب أو رقص أو لعب أو موسيقى مما اعتادوا عليه في الكنائس ، وهناك أيضاً شدُّوا الخيام ، وأطلقوا على الجبل اسم من العهد القديم هو جبل **تابور** (سفر القضاة ٤ : ٦/١٢) ، وهو سبب تسميتهم بالتابوريين .

وفي هذا الاجتماع ؛ خطب فيهم الخطباء أنهم " شعب الله المختار "، وأن أعدائهم الكاثوليك الرومان ؛ هم " العمالقة والمؤابيين والفلسطينيين " .

فلما انتهوا ؛ نزلوا جميعاً ليجوبوا شوارع المدينة ،حتى وصلوا إلى دار البلدية حيث كان يجتمع حاكم المدينة بمعاونيه ، وحدثت مواجهه بينهم وبين الحراس ، وحدثت حوادث داميةٌ ، سقطت فيها دماء كثيرة ، واستطاع قائدهم **زوسكا** أن يسيطر على الموقف لصالحهم ، فلم يتركوا قسيساً ولا شماساً كاثوليكياً إلا وذبحوه ، ولم يتركوا صنماً يقدسه الكاثوليك ولا أيقونة ولا صورة ولا آلة موسيقية ولا شيئاً من الأدوات الأصنامية – بحسب تعبير **ملر** – إلا وحطموها ، كما لم يتركوا كنيسة إلا وحرقوها .

وامتدت هذه الحركة البروتستانتية العنيفة في أنحاء كثيرة من أوروبا ، فابتدأت حرب من أفظع ما شاهد التاريخ ، استمرت لسنين طويلة .

يقول القس **ملر**: وانهزم أول جيش صليبي لروما أمام **زوسكا** الغالب المنتصر ، حتى اضطر الامبراطور للفرار من فوق أسوار براغ ، أما البابا **مارتن الخامس** ، لما علم في مقره بروما بأن **زوسكا** يشن غارته بالحديد والنار ، وأنه يذبح الكهنة والرهبان ويحرق الكنائس ، ويحطم ما فيها من أصنام ، ويهدم الأديرة ، ويستأصل الوثنية ، معتبراً أن ذلك مأموريته الإلهية ، أصدر البابا صكوك الغفران لكل من ينضم لجيش القضاء على زوسكا وأصحاب الهرطقات ، فَعَمَّ المرسوم كل ممالك أوروبا ، ونهضت الكنائس لدعم هذا النداء ، حتى اختلف المؤرخون في تقدير عدد ما تَكَوَّن منه هذا الجيش ، ما بين مائة ؛ ومائة وخمسين ألفاً من المتطوعين (١) .

وتوالت بين الفريقين أربع مواجهات ، أُطلق عليها الحروب الصليبية الأربعة ، انتقم فيها كل طرف من الآخر بأبشع ما تتخيله الرؤوس من جرائم القتل والذبح والحرق والتقطيع والسحل والشنق والاغتصاب والسبي (٢) .

ثم كانت الحروب الصليبية الخامسة ، بقيادة **الكاردينال**

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٨- ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٦٠ .

جوايان ، على رأس جيش جرار يبلغ عدده عشرون ألفاً ، وجيش **التابوريين** بقيادة **زوسكا الأعور** على رأس جيش يبلغ عدده واحد وثلاثين ألفاً ، فانتهت المواجهة بهزيمة جيش الامبراطورية والفاتيكان ؛ بعد سقوط عشرة آلاف قتيل من الألمان الذين كانوا في صفوف زوسكا ، أطلق على أسرهم بعد ذلك " الأيتام " ، ثم كانت موقعة (أوسيج) عام ١٤٢٦غ ، مات فيها من الألمان عشرة آلاف آخرون ، كل هؤلاء وآلاف أخرى لم يذكرها التاريخ ؛ سقطوا ضحايا دون جريرة أو ذنب ارتكبوه ، غير أنهم طَهَّروا ألمانيا من خمسمائة كنيسة ودير ، بكل ما فيها من آثار وأصنام وثنية دُمِّرَت تدميراً كاملاً . (انتهى النص)[1].

الريك زونجلي: ولد في يوم رأس السنة لعام ١٤٨٤غ ، بقرية صغيرة تدعى **فلد هاوس** على بحيرة **زيورخ** بسويسرا ، وهو الابن الثالث من بين خمس أشقاء وشقيقة واحدة ، لأب من رعاة الأغنام والماشية ، وهو من أغني موارد الارتزاق في ذلك الزمان بتلك الجهة .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦١ .

درس علم اللاهوت على يد كبار أساتذته في كنائس سويسرا ، حتى حصل على الأستاذية في الأدب ، واحتل منصب راعي كنيسة منطقة **جلاريس** في العام نفسه (١٥٠٦ ع) .

وشاء الله له أن يرافق أحد الجيوش السويسـرية كرجـل دين ، كما كانت العادة في ذلك الزمان ، ليشارك في تلبية نداء بابا روما ، للانتقام لإيطاليا من الجيش الفرنسي الذي جـاهر كثيراً بعصيانه لقوانين روما ، فانتصر الجـيش السويسـري ، ودمر الجيش الفرنسي ، وراح الكهنة يعلنون في كنائسهم أن السويسريين هم شعب الله الذي انتقم لعروس الرب روما من أعدائها .

إلا أنه في العام التالي مباشرة انكسرت جيـوش سويسـرا في موقعة **مارنيان** الثأرية ، التي أهلكت زهرة شـباب سويسـرا ، وكان **زونجلي** بدافع القومية والوطنية واحداً من جنـود هـذا الجيش الذي انتكس ، فلما راجع نفسه ، ووصايا المسيح ، وتعاليم الآباء ترفض تلك الأسباب التي من أجلها رأى هو بعـيني رأسـه الآلاف من أبناء وطنه يذبحون ذبح الأغنام ، ويتجندلون صـرعى فيما وراء جبال الألب في سبيل الدفاع عن بابا جشع طماع عديم

الإيمان (هكذا نصاً)[1] .

وفي خريف ١٥١٦ غ ، أتته دعوة ليكون راعياً وواعظاً بكنيسة عذراء الدير في دير بندكت بمنطقة **إينسدلن** ، وهو الدير الذي كانت تحكى حوله أعجب القصص والخرافات باسم الكرامات والمعجزات .

يقول **ملر** : وهناك كان المجال فسيحاً أمام **زونجلي** ؛ ليرى بعينيه صورة مجسمة لعبادة روما الوثنية ، فقد كان أبرز شيء هناك ؛ هو صنم عظيم باسم العذراء ، أحاطه الرهبان بكل مظاهر البهاء ، وذاع عنه أنه صاحب كرامات ، وقادر على عمل المعجزات ، حتى صارت مدينة **إينسدلن** كعبة الحجاج يتوافد عليه الجماهير من كل أنحاء المسيحية للتعبد ، وتقديم الهدايا والقرابين .

وعلى باب الدير كان يقوم صنم آخر على صورة ملاك يحمل لوحة محفور عليها بالخط الكبير : (ها هنا يمكن الحصول على غفران كامل للخطايا) ، فجذبت هذه الخديعة الخرافية جماهير الحجاج من كل حَدَب وصوب يلتمسون هذه النعمة [والنقل نصاً من موسوعة (تيموثي وير)] ويؤهلون أنفسهم لها بمشاق الحج

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .

يوم عيد العذراء[1] .

يقول **ملر** : وهكذا كما يقول المـؤرخ **سكوت** : كانـت الكنيسة والدير والوادي بأجمعه ، يموج بجماهير عُباد العذراء ، إلى يومنا هذا . . .حتى يقال أنه ليس أقل من مائة ألف مسكين مخدوع يزورون هذا المكان سنوياً استجابة لعقيدة البابوية الباطلة الجشعة .

ويفصح **ملر** عن مفاجأة غريبة للغاية ، أن رئيس هذا الـدير كان يُدعى (**كنراد** ، من مدينة **شورج**) ، لم يكن مؤمناً بأي من هذه الأكاذيب التي تدور حوله ، وكان يتهرب دائمـاً مـن أداء طقوس الكنيسة ، فلما ألح عليه زواره مرة بأن يقوم لهـم بنفسـه بتقديم خدمة الأفخارستيا (الخبز المقدس المعجون بـالخمر الـذي يدعون أنه جسد المسيح ودمه) ، فاضطر أن يصارحهم بحقيقة إيمانه قائلاً لهم : (إذا كان يسوع حقاً حاضراً في هذا الخبز ، فأنا لست مستحقاً لأن أتطلع إليه ، لا أن أقدمه للآب ، وإذا لم يكن يسـوع والمسيح حاضراً في هذا الخبز ، فالويل لي إن أنـا قـدَّمت خبـزاً للشعب ، ليكون موضع تَعَبُدهم بدلاً من الله) .

وعلى شاكلة رئيس الدير ؛ كـان أيضـاً البـارون **جير ولدسك** ، مدير شئون الدير ، لذلك وجد **زونجلي** الأجواء

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .

مهيأة تماماً ، فتعاون الثلاثة على تطهير الدير مما علق به من وثنيات ، واستطاع أن يجهر للآلاف التي جاءت لعبادة صنم العذراء بحقيقتين :

الأولى : أن الله وحده هو مصدر الخلاص .

الثانية : أن الله هو في كل مكان ، وليس مقصوراً على هذه الكنيسة ، أو على كنيسة البابا في روما .

- وقال **زونجلي** : أن هذا السفر الطويل للحج إلى هذا الصنم ، وهذه التَقَدُّمات والهبات التي تُقدم لصور وتماثيل القديسة ، لن يحقق لكم نعمة الله .

- وقال **زونجلي** : أي قيمة عند الله يمكن أن تكون لقلنسوة لامعة (إشارة للباباوات والأساقفة) ؟ أو رأس محلوقة ناعمة ؟ أو رداء فضفاضي طويل ؟ أو حذاء مطرز بالذهب وقلوبنا بعيدة عن الله ؟.

وعلا نجم زونجلي في الآفاق ، وبلغ صوته بابوية روما ، التي سعت للاستفادة من جماهيريته في تأبييد الكرسي البابوي ، فصدر له المرسوم البابوي ، الذي منحه منصب (القسيس الخاص للكرسي البابوي) سنة ١٥١٨غ وهو منصب شرفي يتقاضى عنه راتباً ولا يمارس له وظيفة [كنوع من أنواع

الرشوة المقدسة] .

وانتقل إلى كاتدرائية العاصمة **زيورخ** ، مع اليوم الأول لعام ١٥١٩ غ ، الموافق تمام عمره للخامسة والثلاثين ، لتبدأ رحلة جديدة من حملته على البدع والوثنيات التي تنتشر في المسيحية ، وأصبحت أصلاً من أصول العقيدة .

يقول ملر : ومثل يوحنا المعمدان ، طلب جميع الطبقات أن يتوبوا ، وهجم بفأسه على كل أضاليل ورذائل المسيحيين ، من كسل وإفراط وظلم وحروب ودعارة [هكذا نصاً] ، لم يرحم أحداً من على المنبر ، لا بابا ، ولا كهنة ، ولا إمبراطور ، ولا ملوك ، ولا أمراء ، ولا حتى ملحدين .

ويذكر **ملر** أن البابا **ليو** العاشر ، كان قد أرسل أحد رهبانه من طائفة **الفرنسيسكان** وهو الراهب **برنارديني** شمشون ليبيع صكوك الغفران في سويسرا ، فدخل المدينة بموكب فاخر تحت الأعلام والرايات ، ونصب دكانه في كنيسة **سان فنسان** ، وابتدأ يصيح على بضاعته وينادي على غفراناته بأثمان تتفاوت من بنسات [جمع بنس] قليلة إلى ما يوازي الأربعة شلنات [جمع شلن] .

فكان يقول للأغنياء : هاكم غفرانات على رقوق ، ثمن الواحد ريال إنجليزي .

وكان يقول للفقراء : هنا تحليلات [نسبة إلى الحِل من الذنب وغفرانه] على ورق عادي ، الواحد بنس ونصف بنس .

وعلى الفور أمر **زونجلي** بصفته رئيساً لقساوسة زيورخ ، بطرد هذا الغريب من البلاد ، وأدرك أن العاصفة سوف تبدأ عاتية من جهة روما ، فأرسل رافضاً قبول الراتب الذي كان يأتيه من هناك (عام ١٥٢٠غ) ، وأصبحت المواجهة سافرة من طرف **زونجلي** .

وحاول كرسي البابوية الذي اعتلاه **هدريان** أكثر تماسكاً وحكمة ، ولأول مرة تعقد مناظرة علنية في سويسرا ، في مؤتمر عام ؛ عقد في ٢٩ يناير ١٥٢٣غ ، للحوار حول البدع والوثنيات التي لحقت بإدارة البابوية والكنائس والتي فُرضت على رجال اللاهوت ، وحضرها زونجلي في بيان عام تضمن (٦٧) مخالفة ، ووضع شرطاً رئيساً ، أن تكون مرجعية الحوار هي الكتاب فقط وليس ما ورد عن الآباء .

ومما جاء في هذا البيان :

- بيان أسباب الأبهة والعظمة التي فيها رجال الكنيسة .
- بيان أسباب الغنى وكثرة الأموال لديهم .

- اختراعات وسائل التكفير والغفران .
- بدعة العشاء الرباني واستحالة الخبز إلى جسد المسيح .
- تحريم زواج القسس ، الأمر الذي جعلهم يستبيحون الزنـــا ويمارسون الأخلاق المنحطة .
- اختراعات ما يسمى بالمُطْهَر والأسرار المقدسة .

وأمام جمع غفير من كبار رجال الدين والدولة والشعب ، فوجئ الجميع بأن المُنَاظِر يعلن على الملأ أنه جاء ليستمع ولم يأت ليحاور ، فبهت الجميع ، فعرض **زونجلي** أن يفتح الباب أمام أي أحد آخر يبدي اعتراض على النقاط التي احتواها بيانه ، فلما لم يتقدم أحد ؛ أصدرت إدارة المؤتمر بياناً بما حدث ، فكان انتصـــاراً **لزونجلـــي** ومبادئة في أنحاء سويسرا وأوروبا ، لكن الأمر لم ينتهي ، وطفحت على السطح بصورة مستفزة للباباوية إعلانات رفض زونجلي لعبادة الصور والأصنام ، فتحدد لمناقشتها مؤتمر عام ، حضره هذه المـــرة (٣٥٠) من رجال الإكليروس ، و (٩٠٠) من كبـــار رجـــال سويسرا بما فيهم مجلس المائتين الذي هو بمثابة البرلمـــان ، وكـــان عنوان المؤتمر :

(هل عبادة الصور مصرح بها في الإنجيل، أم لا ؟ ،
وهل يجب الاحتفاظ بالأفخاريستا كما هي ، أم لا ؟)

واتفق أن يتولى عرض الجـــزء الأول مـــن العنـــوان، القـــس

ليوجودا [ياهوذا] صديق **زونجلي** الحميم ، ورفيق كفاحه ، الذي قيل عنه أن كل شئ يحتاجه الرجل الصالح لم يوجد فيه فقط ، بل يوجد بفيض ووفرة .

أما الشطر الثاني من عنوان المؤتمر فيكون لزونجلي .

وللأسف الشديد ، لم تأت موسوعة ملر بالنص الذي قاله **ليوجودا** ، لعرض براهينه الكتابية على تحريم الأصنام ، غير عبارة واحدة هي (أن الصور ممنوعة بكلمة الله ، وينبغي على المسيحية عدم صنعها أو إقامتها أو تقديم أي خشوع أو احترام لها)[1] .

وبعد هذا المؤتمر ، بدأت سلسلة من المذابح لا نهاية لها ، في كل ممالك أوروبا ، والتي أسلمت قيادها للبابوية في روما ، أما سويسرا فقد كان لها موقفاً خاصاً ، حيث اجتمع كبارها من رجال السياسة والدين والفكر والأدب ، وحرروا رسالة إلى جميع المقاطعات الكاثوليكية ، يرجوهم معالجة الضلالات والبدع التي انتشرت في العقيدة المسيحية ، وأن يجعلوا الكتاب هو المرجع في إيمانهم ، وقالوا نصاً : (إن وجدتم في تعاليمنا ما يخالف الكتاب المقدس ، فبرهنوا لنا على ذلك واقنعونا بخطئنا ، ولكننا نلتمس منكم أن لا تؤخروا الرد عن آخر شهر مايو لعام ١٥٢٤غ ، فإلى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧١ .

أن يحين ذلك اليوم ؛ سنبقى في انتظار الرد منكم ومن الأساقفة وجامعة بازل)[٢] .

يقول **ملر** : فلما انتهت المدة المعينة ؛ ولم يأت الرد من أي مقاطعة؛ صمم مجلس **زيورخ** على المضي في عمل الإصلاح ، فأصدر المرسوم القاضي بـ : هدم الصور والأصنام من كل الكنائس ، وأن تُبَاع حُلِيّها وتُعطي أثمانها للفقراء ، وعينت الحكومة السويسرية ، هيئة خاصة للقيام بهذه العملية ، تتكون من إثني عشر مستشاراً ، وثلاثة من الرعاة ، ومهندس المدينة المعماري ، وطائفة من البناءين والنجارين ، وبدأت الهيئة تطوف على الكنائس ، وكلما دخلوا واحده أغلقوا الباب ورائهم ، وأنزلوا جميع الصلبان ، وطلوا مكانها ، وأحرقوا الصور ، وحطموا الأصنام .

وينقل **أندريه ملر** عن **زونجلي** دُعابة حول أحد هذه الأصنام فيقول : كان هناك صنم حجري شهير للسيدة العذراء في دير للراهبات ، كانت له مكانة عظيمة ، وشهرة معجزية هائلة ، فأكد الرهبان أنه لا يمكن نقله من مكانه ، ولو نُقل من مكانه ؛ فلسوف يعود إليه في الليل حتى لو أغلقت الأبواب دونه بمصاريع قوية ، فيعلق **زونجلي** قائلاً : ولكن للأسف ؛ فقد نقل هذا الصنم

---

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٩ .

واستسلم بكل خضوع لمن نقلوه[1] لأنه تحطم ولم يعترض أو يدافع عن نفسه .

أما في مدينة **بازل** الشهيرة فلم يكن الأمر على هذه الصورة اليسيرة ، بل انشقت المدينة حكاماً وشعباً إلى نصفين ، نصف مع روما وأصنامها ، ونصف مع الكتاب المقدس (عندهم) الرافض للأصنام ،خرجوا جميعا إلى الشوارع ؛ كل فريق يتحرش بالآخر ، فيقول **ملر** : إن الساعة الرهيبة تقترب ، وهي ساعة لا شك مرعبة لأعداء الله[2] . . . . والعاصفة كانت تتزايد ، وتزايد الهياج والاضطراب ، وأصبحت **بازل** كما لو كانت منطقة حربية ، وتكفيها شرارة لتجعلها ناراً موقدة .

وفي ليلة ٨ فبراير (وكان العام ١٥٢٩غ) ، وكان الفريقان في حالة ترقب ، دخل رجال إحدى الدوريات المختصة بحراسة المدينة ، إلى كاتدرائية القديس بطرس ، وهي الكنيسة الكبرى بالمدينة ، وهناك قاد حب الاستطلاع واحداً منهم إلى فتح باب جانبي بواسطة رمحه ، وتصادف أن كان وراءه عدد كبير من الأصنام المخزونة ، فسقط واحداً منها فتحطم .

وزيادة في الإغراء وحب الاستطلاع ؛ أخذ أفراد الدورية

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨٠ .

(٢) ص ٤١٠ .

يخرجون الأصنام واحداً بعد الآخر من مخبئها ويحطموها ، حتى امتلأت الأرض بأشلائها ؛ من رؤوس وأبدان وسيقان وأعضاء كلها محطمة ، فصاح القساوسة الذين كانوا على مقربة من الكنيسة ، وحاولوا أن يوقفوا عمل الدورية دون جدوى ، وبسرعة البرق انتشر الخبر في أنحاء المدينة ، وهض جيش المدينة إلى المكان ، إلا أن روح الحماسة أصابت الناس ، وارتفعت نداءاهم : (لماذا نترك الأصنام التي هي سبب البلاء ومصدر الشقاء ؟) وفي الحال انقضوا على الكنيسة كلها من كل اتجاه ، واجتاحوها من داخلها ، فحطموا مذبحها وهدموا هيكلها ، وفرقوا صورها ، وكسروا كل أصنامها ، ثم جمعوا كل ذلك وأشعلوا فيه النيران[1] .

وبدا أن السيطرة على شعب **بازل** سوف يكون صعباً ، وقد قرر الاستجابة إلى نبذ الوثنية وتطهير الكنائس والديار والأرض من أرجاس الأصنام ، فأعلن مجلس المدينة عزل الإثنى عشر عضواً المعارضين لهذا الاتجاه ، وأصدر مرسوماً قرر فيه : (من اليوم فصاعداً تلغى الأصنام) .

وبدأ زعماء الحزب البابوي من كهنة ورهبان وأساتذة

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٣ .

لاهوت ، يستعدون للرحيل من سويسرا كلها ، ليس خوفاً من أذى ، بل كرهاً فيما أصبح عليه الناس من إيمان بلا أصنام .

وكان من الذين رحلوا ؛ عالم لاهوتى كاثوليكي كبير يدعى **أرازمس** لشديد احترامه وعلمه وورعه ؛ استعطفه كثيرون من الشعب وكبارهم أن يبقى ، لكنه أوضح لهم مكانه دائماً بين البابا وحزبه ، إلا أنه كتب رسالة لأحد أصدقائه قبل أن يغادر المدينة قال فيها مداعباً أو ساخراً من رجال الكاثوليك الذين ينتمي إليهم : (لقد كانت الشتائم والإهانات التي انهالت على الصور والأصنام والصلبان كثيرة وقاسية لدرجة مثيرة للاستغراب ، كيف لأولئك الرسل والقديسين من أصحاب هذه الصور والأصنام ، تحملوا على أنفسهم كل هذه الإهانات ولزموا السكوت في هذا الوقت العصيب ، وهم الذين كانوا بالأمس يهبون الناس العجائب والمعجزات والانتقام لأقل إهانة أو إساءة تمسهم ، فلم يظهروا شيئاً من قوتهم المعجزية ليدفعوا بها الضرر عن أنفسهم ؟)[1] .

يقول القس **ملر** في أسى شديد : وأخيراً طفح كأس حنق الكاثوليك فراحوا يصرخون في طلب الانتقام وسفك الدماء ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٥ .

فليس شئ سوى سفك دماء المسيحيين الأحياء ، كان يستطيع في نظرهم أن يكفر عن إبادة الأصنام الصماء .

إيه يا روما ، يا روما متى تشبعين من الدماء .

إن عطشك غير قابل للارتواء .

ولكن ماذا يكون الحال عندما ينتهي سلطانك فلا تجدين دماً تسفكينه ؟

ويظل صدى آهات **ملر** مدوياً على مدى هذه القرون الطويلة إلى أن نأتي إلى القرن الواحد والعشرين ، وها هي الكنيسة الكاثوليكية ما زالت ترتع في الدماء ، إلا أنها ليست دماء مسيحية كما كانت من قبل ، إنما هي اليوم دماء المسلمين في كل بقاع الأرض .

ملحوظة : إن الموقف العقدي في الكنيسة المصرية الأرثوذكسية من الصور والأصنام والأيقونات ، كان وما زال هو نفس الموقف تماماً الذي اتخذته الكنيسة الكاثوليكية على مر الزمان ، يسجدون ويركعون ويتعبدون ويتشفعون لها ، كما لو كانت هي الآلهة تماماً ، وسوف نوثق ذلك بالنسبة لكنيستنا المصرية في دراسة مستقلة بمشيئة الله .



نَصٌّ

قوانين الكنيسة الكاثوليكية البابوية بشأن عبادتهم للصور والتماثيل بحسب قانون الكنائس الشرقية[1]

القانون ٨٨٤

توصي الكنيسة في عملها الدؤوب لتقديس شعب الله المسيحيين المؤمنين[2] [بتقديم] تكريم خاص وبَنَوِيّ للقديسة مريم والدة الإله الدائمة البتولية ، التي أقامها المسيح أُماً لجميع الأنام .

وتعزز الكنيسة [مبدأ] التعبد الحق والسويّ لسائر القديسين الذين يعمل مَثَلَهم في نفوس المسيحيين عَمَلَه وتقيم شفاعتهم لهم ظهيراً .

---

(١) الآب إلياس ناقوز : الموجز في قانون الكنائس الشرقية الكاثوليكية (الجزء الأول) ، بطريركية أنطاكيا وسائر المشرق والإسكندرية وأورشليم ، دمشق ، ١٩٩٣ ، (ص ٢٢٨ — ٢٣٠) .

(٢) المقصود بالمؤمنين هم أتباع هذه الكنيسة فقط ، ومن عاداهم هم كافرون ، فالمؤمنون في الكنيسة الأرثوذكسية مثلاً هم كافرون عند الكاثوليك والبروتستانت رافضون لقانون إيمانهم ، كما يكون المؤمنون بالكاثوليكية كفاراً عن الأرثوذكس والبروتستانت .

القانون ٨٨٥

وحدهم خدام الله الذين رفعتهم الكنيسة بسلطانها إلى مصف الطوباويين أو القديسيين ، يجوز تكريمهم بتعبد علني .

القانون ٨٨٦

تُكَرس عادة عرض الصور والأيقونات المقدسة كيما تنال تكريم المسيحيين المؤمنين وِفْقَ الطريقة والنظام الذي يرسمة الشرع الخاص لكل كنيسة قائمة شرعاً (الطائفة) .

ق ٨٨٦ خ ماروني[1] : " تحافظ كنيستنا المارونية على ممارسة تكريم الأيقونات والصور ، كما تنظمها كتب العبادات والزياحات الصادرة عن السلطة الكنسية العليا أو بموافقتها . ويجب التقييد بما يلي:

١ – لا يجوز لأحد أن يعلق صورة أو يعرض ذخيرة في مكان أو كنيسة وما لم تكن تلك الصور مثبتة [مُعتمَدة] من مطران

---

(١) ق ٨٨٦ خ ماروني : تعني القانون الخاص بالطائفة المارونية في هذه النقطة ، وهو من خلال النص المطروح أمامنا مخالف كثيراً لنص القانون ٨٨٦، الذي عند الكنيسة الأم في أنطاكيا ، وهكذا يتبين لنا بجلاء أن الكنائس الكاثوليكية الكبرى ومثلها الأرثوذكسية ، ما زالوا مختلفونْ فيما بينهم ، وسيظل هذا الاختلاف بينهم إلى يوم الدين ، حول عبادة الأصنام من عدمها .

الأبرشية .

٢- يحظر عرض الذخائر لتكريم المؤمنين لها ، أو للطواف بها في الكنيسة ، ما لم توقد أمامها الشموع ويحملها رجل من أهل الكنيسة ، متشحاً بثوبه المقدس .

٣- لا يحق لأحد إنشاء مزار أو معبد إلا بموافقة مطران الأبرشية ، بعد إنشائه تتسلم لجنة وقف الرعية القائم على أرضها المزار ، أو المعبد ؛ تبرعات المؤمنين ، وبذل نذورهم " .

القانون ٨٨٧

البند١- إن الأيقونات المقدسة والصور الثمينة المتميزة قِدَماً أو فناً ، والمعروضة في الكنائس كيما تنال تكـريم المسـيحيين المؤمنين ؛ لا يجوز نقلها لكنيسة أخرى[1] ، أو التصرف فيها إلا بموافقة خطية من الرئيس الكنسي الذي يمارس سلطانه على تلك الكنيسة ، مع صيانة القوانين ١٠٣٤-١٠٤١[2] .

---

(١) إن أصنام كل ملة كنسية هي خاصة بهم ، لا يجوز لغيرهم التعبد بها ، لأنها مقدسة بحسب قوانين الكنيسة التي هي قائمة فيها ، ولا يصلح أن يتعبد المسيحيون بصنم قَدَّسه أسقف أو بطريرك من كنيسة مغايرة باعتباره كافراً ، وعلى غير الملة .

(٢) ق ١٠٣٤-١٠٤١:يسمح القانون الكنسي في حدود ضيقة جداً للسلطة الكنسية ، وبشرط موافقة الخبراء والمجالس الكنسية والمعنية ، ومع الخضوع للشرع المدني والساري ، التصرف بهذه الكنوز [كإهدائها لكنيسة أخرى ، أو نقلها إلى مكان آخر] .

البند ٢- لا ترمم الأيقونات المقدسة والصور الثمينة إلا بموافقة خطية من الرئيس الكنسي المذكور آنفاً؛

وهذا الرئيس لا يجيز ذلك إلا بعد استشارة الخبراء .

القانون ٨٨٨

البند ١- لا يجوز بيع الذخائر المقدسة .

البند ٢- إن الذخائر والأيقونات والصور المقدسة والصور المشهورة التي يكرمها الشعب تكريماً بالغاً في إحدى الكنائس ، لا يمكن بأي شكل التنازل عنها على وجه صحيح ، أو نقلها بصورة دائمة إلى كنيسة أخرى ؛ إلا بموافقة الكرسي الرسولي أو البطريرك؛ وهذا لا يأذن بذلك إلا بموافقة السينودس الدائم [المجلس ألاهوتي الأعلى] ، مع صيانة ق١٠٣٧

البند ٣- بشأن ترميم هذه الأيقونات والصور فليتبع ما يرسمه ق٨٨٧ ، في بنده الثاني .

وعلى الله قصد السبيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

المراجع الأساسية للدراسة

١ – أندرو ملر :مختصر تـاريخ الكنيسـة (ج ١ ، ج ٢) ، كنيسة الأخوة بجزيرة بدران بشبرا ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢ – جاد المنفلوطي : تاريخ المسيحية (ج ٢) ، دار التـأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، ١٩٧٨ .

٣ – تيموثي وير (ترجمة هاشم الحسيني ـ من حركة الشبيبة الأرثوذكسية في بيروت) : الكنيسـة الأرثوذكسـية في الماضـي والحاضر ، بطريركية أنطاكيا (منشـورات النـور) ، سـوريا ، (إصدار) ١٩٦٣ ـ (ترجمة) ١٩٨٢.

٣ – الآب إلياس ناقوز : الموجز في قانون الكنـائس الشـرقية الكاثوليكية (الجزء الأول) ، بطريركية أنطاكيا وسـائر المشـرق وأقليم أورشليم ، دمشق ، ١٩٩٣ .

فهرس


www.BaladyNet.Net
شبكة بلدي
لمقاومة التنصير والماسونية



الطابور الخامس
١٣
خطوة
لتنصير المسلمين
www.BaladyNet.Net
شبكة بلدي
لمقاومة التنصير والماسونية
http://kotob.has.it